آهات من العقيق

تأليف

عبد الحميد بن عبد الله العوفي

ح مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ١٤٤٦هـ

العوفي، عبد الحميد عبد الله

آهات من العقيق. / عبد الحميد عبد الله العوفي – ط١.

.- المدينة المنورة، ١٤٤٦هـ

١٨١ ص؛ ١٧×٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١٣٤٠٩

ردمك: ٣-٨-٩٢٢٣٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م






المدينة المنورة؛ ص. ب: ٩٠١

هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦ ٤ ٩٦٦١ + / ٨٣٤٤٩٤٦ ١٤ ٩٦٦+

جوال: ٠٥٣٣٠١٢٢٣ ٩٦٦+/ فاكس: ٨٣٨٣٢٢٦ ٤ ٩٦٦١ +

موقعنا على الشبكة: www.daralzaman.sa

راسلونا: info@daralzaman.sa

alzaman1402@gmail.com

أيّ حكمة في هذا الكتاب، أو خاطرة،
أو شعر، أو قصة، أو رواية أو غير ذلك
لم تُعْزَ لأحدٍ، فهي من إنشاء المؤلف


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٤٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، أما بعد:

فهذه آهات وزفرات من الأعماق، جاءت من تلقاء وادي العقيق المبارك، ولمّا كان اسم هذا الكتاب: (**آهات من العقيق**) فقد كثرت فيه الآهات والتحذيرات والتنبيهات، موافقاً ومناسباً لاسمه، فالقلوب تصدأ، وجلاؤها الذكر والوعظ والنصح، وتقسو، فتلين بذكر الله تعالى، وبذكر العبر والقصص التي تذكّر باليوم الآخر، فهذه المواعظ والنصائح تُحْيي القلوب بعد موتها، وتنبّهها بعد غفلتها، وتجعلها تستيقظ من سباتها، ولأننا الآن في آخر الزمان، فقد قست القلوب، وتفتّحت الحياة بمصراعيها، وأصبحت الغفلة مطبقة على كثير من نواحي الحياة، فقد أصبحت القلوب في حاجة ماسة إلى مَنْ يذكّرها وينبّهها، فلا بد من مواعظ فيها قليل من التحذير والتخويف، لأن فيها كثير من التفريط، فلقد أصبحت القلوب الآن لا تحركها المواعظ المعتادة المعروفة، ولا يؤثر فيها القول المجرد من بعض التحذير، فلهذا وغيره قد يجد القارئ لهذا الكتاب بعض ما قلنا، وإن لم يكن بالكثرة هُوْ، فلا ضير أن يكثر المسلم من ذكر هادم اللذات، فقد قال ﷺ: «أكثروا ذكر هادم اللذات، فما ذكره عبدٌ قطّ وهو



في ضيق إلا وسَّعَه عليه، ولا ذكره وهو في سعةٍ إلا ضيَّقه عليه»(١) وورد عنه ﷺ أنه إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوته، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه، حتى كأنّه منذر جيشٍ، يقول: صبّحكم ومسّاكم(٢).

فهذا الكتاب وإن كان فيه آهات كثيرة، وذكر للموت وللقبر، فهو من هذا القبيل الذي ذكرناه آنفاً عن النبي ﷺ وإن كان في أسلوب الآهات والتحذير شدَّة، فقد ورد هذا عن النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا جُنّتكم» قالوا: يا رسول الله: أَمِنْ عدوٍّ حضر؟ قال: «لا. ولكن جُنّتكم من النار، قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهنّ يأتين يوم القيامة مُجَنِّباتٍ(٣) ومعقباتٍ(٤)، وَهُنَّ الباقيات الصالحات»(٥).

أسأل الله العظيم أن ينفعنا بما نقول ونكتب، وأن يأخذ بأيدينا إلى سبيل الرشاد، وأن يُحْيي قلوبنا بالذكر والذكرى، كما قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ

---

(١) ابن حبان (٢٩٩٣) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (٨٦٧).

(٣) مجنبات: أي هي التي تكون في الميمنة والميسرة كأنهنّ جيش.

(٤) معقبات: أي يأتي بعضها عقب بعض.

(٥) السنن الكبرى للنسائي (١٠٦١٧) والجامع الصغير للسيوطي (٣٢١٤) وصحّحه الشيخ الألباني.

تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات] وقال جلّ وعلا: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق].

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

عبد الحميد بن عبد الله العوفي

ذو الحليفة[١]

بما أن هذا الكتاب يحمل اسم وادي العقيق، وبأن ذا الحليفة تقع على ضفاف العقيق، فيحسن بنا أن نتكلم عن هذه القرية الهادئة ذات البساتين الخضراء الجميلة، وذات الآبار الكثيرة، وأن نعرّج على ذكرنبذة مختصرة جداً عن تاريخها الضارب في أعماق التاريخ.

إن ذا الحليفة معروفة منذ القدم، ومن قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام وبزغ نوره، ازدانت، وازدادت معرفة بين الناس، وورد ذكرها في الكتب القديمة والحديثة على السواء، وورد ذكرها كذلك في بعض الأحاديث النبوية الشريفة، ولعلّنا نتكلم عن هذه القرية الصغيرة الجميلة في بعض العناصر والوقفات الآتية:

أولاً: اسمها:

إن اسمها القديم والشهير الذي عُرفتْ به هو: ذو الحليفة، ويقال: إنها سُمّيت بهذا الاسم، نسبةً إلى نبات الحلفاء الذي يكثر في هذه القرية، والحليفة تصغير الحلفة[٢]. فهذا هو اسمها الذي عرفت به واشتهرت به منذ القدم، وقد ورد اسمها هذا (**ذو الحليفة**) في بعض الأحاديث النبوية الشريفة، فعن ابن

---

(١) نبذة مختصرة عن تاريخ ذي الحليفة.

(٢) تحقيق النصرة لزين الدين المراغي (١٥٧).

عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «يُهِلُّ أهل المدينة مِن ذي الحليفة، وأهل الشام من الجحفة، وأهل نجد من قَرْنٍ» قال عبد الله: وبلغني أن رسول الله ﷺ قال: «ويُهِلُّ أهل اليمن من يلملم»[(١)].

وكان لأبي هريرة رضي الله عنه أرض بذي الحليفة[(٢)].

وأمَّا تسميتها (آبار علي) ففيه اختلاف كثير بين المؤرخين، فمنهم من قال: إنها سُمِّيت بهذا الاسم نسبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث سكن في ذي الحليفة أيام الفتنة والبغي على عثمان رضي الله عنه، ورفض عثمان أن يُقْتَلَ الباغون عليه، فسكن عليٌّ هناك، وإن كان خلّف الحسن والحسين رضي الله عنهما حارسيْنِ لعثمان رضي الله عنه، فاحتفر في هذه المنطقة الآبار فسُمَّيتْ به. وقيل إنها سُمَّيت بهذا الاسم لأن عليَّ بن طالب رضي الله عنه قاتل فيها الجن، وهذا لا أصل له ولا يمكن أن يصحّ هذا الخبر، وقيل: إنها سُمَّيت بهذا الاسم نسبةً إلى علي بن دينار سلطان دارفور، والذي حضر إلى ميقات ذي الحليفة عام ١٨٩٨م، حاجًّا، فحفر الآبار للحجاج، كما جدّد مسجد ميقات ذي الحليفة، وهذا أيضاً لا يصح للأسباب الآتية:

---

(١) البخاري (١٥٢٥) ومسلم (١١٨٢).

(٢) البخاري (١٩٢٥ – ١٩٢٦).

١- أن اسم آبار علي موجود في الكتب القديمة فقد ذكر العيني في شرحه على صحيح البخاري، فقد قال عن ذي الحليفة: وهو ميقات أهل المدينة، وهي التي تسمى آبار علي رضي الله عنه، والعيني رحمه الله توفي عام ٨٥٥هـ، بينما وُلِدَ علي بن دينار رحمه الله عام ١٢٧٥هـ تقريباً، وتوفي عام ١٣٣٥ تقريباً، فبين العيني وعلي بن دينار مئات السنين.

٢- ذكر جمال الدين الشيباني في رحلته إلى المدينة عام ٦٢٦هـ، قال عن منطقة ذي الحليفة: وبئر علي رضي الله عنه، هناك، وهي بئر عظيمة البناء يروي منها الحجاج، وبين الشيباني وعلي بن دينار مئات السنين كذلك.

فيظهر من هذا أن تسميتها: بآبار علي تسمية قديمة وقبل علي بن دينار بمئات السنين، فمنهم مَنْ نسبها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومنهم مَنْ نسبها إلى اسم: عليّ فقط ولم ينسبها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكن تسميتها بهذا الاسم كان موجوداً قديماً والله تعالى أعلم.

*****

ثانيا: موقعها:

تقع ذو الحليفة على شفير وادي العقيق المبارك الغربي، ومُطِلَّة عليه، وهي ميقات لأهل المدينة، ولمن مَرَّ بها، وتبعد ذو الحليفة عن المدينة المنورة ما يقارب

ستة أميال، أي نحو تسعة كيلو متر، وهي منطقة زراعية، تكثر فيها الآبار والبساتين، وجوّها في الليل جميلٌ، ونسيمها عليلٌ.

*****

ثالثاً: حدودها:

ذو الحليفة منطقة ليست كبيرة، فمساحتها متوسطة، يحدُّها من الغرب بداية البيداء وبعض الجبال متوسطة الارتفاع، ومن جهة الشرق وادي العقيق، ومن الجهة الشمالية جزء من وادي العقيق وبعض الجبال متوسطة الارتفاع، وأمّا من جهة الجنوب فالحساء وجزء من البيداء.

*****

رابعاً: بعض معالم ذي الحليفة:

أ- **وادي العقيق**: وهو أشهر مَعْلَمٍ بها، وهو وادٍ مبارك، وهو يحدّها تقريباً من جهة الشرق، وتمتد أرض ذي الحليفة إليه حتى تلامسه، فليس بينهما حاجز، فعن عمر ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ بوادي العقيق يقول: «أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة»[1]. وعن عبد الله بن عمر ﵄، عن النبي ﷺ أنه رُؤِيَ وهو في مُعرَّسٍ بذي الحليفة

(١) البخاري (١٥٣٤).



ببطن الوادي، قيل له: إنك ببطحاء مباركة[١]. فوادي العقيق وادٍ مبارك، كثيرةٌ بركاته، وكثيرةٌ خيراته.

ب- مسجد الشجرة (مسجد الميقات): وسُمِّيَ مسجد الشجرة بهذا الاسم لسَمُرَةٍ كانت هناك، كان رسول الله ﷺ ينزل تحتها فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر، وفي حجّته حين حَجَّ تحت سَمُرَةٍ في موضع المسجد الذي بذي الحليفة، وكان إذا رجع من غزوٍ كان في تلك الطريق أو حَجٍّ أو عمرةٍ هبط من بطن وادٍ[٢]، فإذا ظهر من بطن وادٍ أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية[٣]، فعرّس ثَمَّ حتى يصبح[٤]. ومسجد الشجرة الآن هو مسجد الميقات المعروف، وقد ذُكِرَ موقع الشجرة في كتب الأحاديث والكتب القديمة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة، ويدخل من طريق المعرس، وإذا دخل مكة، دخل من الثَّنِيَّة العُليا، ويخرج من الثَّنِيَّة السفلى[٥].

---

(١) البخاري (١٥٣٥) واللفظ له، ومسلم (١٣٤٦).

(٢) بطن وادٍ: أي وادي العقيق.

(٣) الشرقية: أي جانب البطحاء الشرقي وليس جانب الوادي.

(٤) البخاري (٤٨٤).

(٥) مسلم (١٢٥٧).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: نُفِسَتْ أسماء بنت عميس رضي الله عنها بمحمد بن أبي بكر بالشجرة، فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه، يأمرها أن تغتسل وتُهِلَّ[١]. وقد كان سعيد بن زيد وأبو هريرة رضي الله عنهما يكونان بالشجرة على أقلّ من ستة أميال فيشهدان الجمعة ويدعانها[٢]. ومن علماء هذه المنطقة (الشجرة) العالم: إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد بن هاني الشجري المدني من مدينة رسول الله ﷺ[٣].

ج- جبل عَيْر: وهو مَعْلَمٌ تاريخي مشهور، وهو جبلٌ كبيرٌ وواسعٌ جداً يقع شرق ذي الحليفة، وسطح هذا الجبل كظهر العَيْر، وجبل عَيْر يقع في قبلة المدينة المنورة، وهو شرق العيق، وهو أحد حدود المدينة المنورة التي حرّم الرسول ﷺ الصيد بينها، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى مُحْدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»[٤].

(١) مسلم (١٢٠٩).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٢٠٣٧).

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ٤١٠).

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (١٨٧٠) ومسلم (١٣٧٠).

د- **البيداء:** وهي تقع غرب ذي الحليفة وجزء منها يقع غرب جنوب ذي الحليفة، وهي عبارة عن أرض واسعة في طول تسعة كيلو مترات وعرض مثلها، وفيها كثير من المعالم مثل: محطة توليد الكهرباء، ومركز التليفزيون وكلية المعلمين، وقد ورد ذكر البيداء في أحاديث نبوية كثيرة، فقد جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن حجة النبي ﷺ قوله رضي الله عنه: ...فصلَّى رسول الله ﷺ في المسجد[1]، ثم ركب القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء، نظرتُ إلى مَدِّ بصري بين يديه، مِنْ راكبٍ وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك...[2]. وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنّا بالبيداء أو (بذات الجيش) انقطع عِقْدٌ لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء،... الحديث[3].

*****

خامساً: بعض الوقائع التي حدثت بذي الحليفة:

أ- أُسِيدُ بن حضير رضي الله عنه وخبر وفاة زوجته:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمنا مِنْ سفرٍ فَتلقَّوْنا بذي الحليفة، وكان غِلْمان الأنصار يتلقَّون بهم إذا قدموا، فَلقُوا أسيد بن حضير فَنَعَوْا إليه امرأته فتقنّع

---

(١) أي مسجد الشجرة في ذي الحليفة.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٣٤) ومسلم (٣٦٧).

يبكي، قالت: فقلت له: سبحان الله، أنت مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ، ولك من السابقة ما لك تبكي على امرأة؟ فكشف عن رأسه فقال: صدقت لعمرو الله، والله ليحقُّ لي أن لا أبكي على أحدٍ بعد سعد بن معاذ رضي الله عنه، وقد قال رسول الله ﷺ ما قال. قالت له: وما قال له؟ قال: «لقد اهتزَّ العرش لوفاة سعد بن معاذ» قالت: وهو يسير بيني وبين رسول الله ﷺ(١).

ب- لما خرج النبي ﷺ ومعه أصحابه، زمن الحديبية، حتى إذا كانوا بذي الحليفة، قَلّد الهدْيِ، وأشعره، وأحرم بالعمرة، حتى إذا وصل الحديبية، منعته قريش من دخول مكة هذا العام، وأن يعتمر في العام المقبل، ثم تصالحوا على عدّة بنود منها: أنه لا يأتي للنبي ﷺ رجلٌ من قريش وإن كان مسلماً إلا رَدَّهُ الرسول ﷺ إلى قريش، ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير – رجلٌ من قريش – فأرسلوا في طلبه، فدفعه إلى الرجلين الذين جاؤوا من مكة، فخرجا به، حتى إذا بلغا ذا الحليفة، نزلوا يأكلون، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيد، فاستلّه الآخر، فقال: أجل، قد جرّبتُ به، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفرَّ الآخر، فلما عرف أبو بصير أن النبي ﷺ سيرده إليهم، خرج حتى أتى سيف

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٩٠٩٥) وقال محققوه: مرفوعه صحيح وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٩٩١) وصحّحه ووافقه الذهبي.



البحر، ثم لحق به أبو جندل، حتى اجتمعت منهم عصابة، فطلبت قريش من النبي ﷺ أن يلغي هذا البند[١].

ج- إنه قبل مائة عام تقريباً، أي في حدود سنة: (١٣٥٠ - ١٣٥٥هـ) تقريباً سال وادي النقيع سيلاً عارماً وقوياً وكثيراً، وجاء مع العقيق فغطَّى أرض ذي الحليفة كاملة، وجرف كل شيءٍ فيها، وأهلك المزارع والبساتين التي فيها فاقتلع أشجارها ونخيلها، وطمر آبارها، فالتجأ أهل ذي الحليفة إلى الجبال القريبة منها، والتي في غربها، حتى انحسر الماء، وسلّمهم الله تعالى منه، وسمَّاه أهل ذي الحليفة: (سيل غَشّام) لأنه لم يترك منها شبراً إلا وغطّاه الماء، ولم يأت مثله حتى الآن ولله الحمد.

*****

سابعاً: مدرسة ذي الحليفة:

مدرسة ذي الحليفة مدرسة عريقة وقديمة، ذات تاريخ مجيد في نشر العلم والتعليم في منطقة ذي الحليفة، وهي من المدارس القديمة والمعروفة والمشهورة في المدينة المنورة، إذ كانت الدراسة في منطقة ذي الحليفة وقبل افتتاح المدرسة، كانت الدراسة في مسجدها - مسجد ذي الحليفة - ثم بعد ذلك أنشئت مدرسة ذي الحليفة في عام ١٣٦٨هـ وقيل عام: ١٣٧٤هـ، وبدأت الدراسة بها

---

(١) انظرا صحيح البخاري (٤١٧٨، ٤١٧٩) وأبو داود (٢٧٦٥) وصحّحه الشيخ الألباني.



عام: ١٣٧٥هـ، والله أعلم، وقد درس فيها الكثير الكثير من أبناء المنطقة، وتخرج الكثير الكثير منها، ومنهم من واصل دراسته، فكان منهم الأطبّاء والمهندسون، والمدرسون، والأكاديميون، والعلماء والخطباء والشعراء، وما زالت مدرسة ذي الحليفة تنشر العلم والتعليم في هذه المنطقة، هذه القرية الهادئة ذات المزارع والبساتين، وذات الهواء العليل، وذات وادي العقيق، الوادي المبارك.

فهذه نبذة قصيرة ومختصرة عن منطقة: ذي الحليفة كتبتها من باب الوفاء والعرفان لهذه القرية الهادئة – ذي الحليفة – فقد قيل لبعض الحكماء: بأي شيءٍ يُعْرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار؟ قال: بحنينه إلى أوطانه، وتَلَهُّفِهِ على ما مضى من زمانه، وعن الأصمعي قال: قال أعرابي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل، ودوام عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوّقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه[١].

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر القرطبي (١/ ٧٩٥).



قلت[١]:

يـا ذا الحليفـة ويـا خـير سـكنْ	ذات النسـيم العليـل الحسـنْ
يـا ذات الـوادي المبـارك الـذي	فيه لقد روي (صحيح وحسـنْ
قــم صــلّ فيــه نــافلاً فإنــه	مبارك صَـلِّي[٢] بـه قبـل الظّعـنْ
ها قد وقفتُ سائلاً عـن أهلهـا	فعرفتُ أنـهُ حـديث ذو شـجنْ
أيــن أهاليـك؟ فسـالت دمعـة	وقالت: راحوا وأَخْلَوا السَّـكنْ

---

(١) القائل هو المؤلف.

(٢) الياء للوزن.

خاطرة

كل إنسان يحبّ المال، لقول الله عز وجل: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾[الفجر] ولقوله ﷺ: «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حُبُّ المال، وطول العمر»[١]. فهو يهتم بجمع المال، واقتنائه، وأن يكون في حوزته ومُلْكه في أسرع وقت ممكن، ويحرص أن لا يبيت إلا وهو في خزانته، أو في رصيده، أو على الأقلّ أن يكون في بيته، ولكن سيدنا ونبينا محمد ﷺ بعكس هذا، فإنه عليه الصلاة والسلام يحمل همّ تفريق المال إذا جاءه، ويحرص ﷺ أن يغادر هذا المال بيته، وأن لا يبيت معه تحت سقف واحد، وأن لا يكون في حوزته أبداً، ويحاول ﷺ أن لا يمكث عنده ولو لحظة واحدة، فعن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: صلّيتُ مع النبي ﷺ العصر، فلما سلّم قام سريعاً ثم دخل على بعض نسائه، ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجُّبهم لسرعته، فقال: «ذكرت وأنا في الصلاة تِبْراً[٢] عندنا فكرهتُ أن يمسي – أو يَبيتَ – عندنا فأمرتُ بِقِسْمته»[٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان لي مثل أُحُدٍ ذهباً، ما يسرُّني أن لا يمُرَّ عليَّ ثلاث وعندي منه شيءٌ إلا شيءٌ أُرْصِدُهُ لِدِيْنٍ»[٤].

---

(١) البخاري (٦٤٢١) واللفظ له ومسلم (١٠٤٧).

(٢) تِبْراً: ذهباً.

(٣) البخاري (١٢٢١).

(٤) البخاري (٢٣٨٩) واللفظ له ومسلم (٩٩١).



حكمة

لا تظنُّ أنَّ الجمالَ كمال، وإنما الكمالُ جمال.

*****

الصلاة على النبي ﷺ

ربّ الأراضي ربّ السـمـوات   منــزل الكتـــاب والآيـــات
صلّ عـلى أحمـد أفضـل الـورى   نور الهدى سنا الدجى والظلمات[(١)]

*****

واحةُ الشِّعْر

حلـوةٌ هــذه الـدنيا لــو كــان   هنالــك خلــدٌ لنــا وبقـــاءْ
لكــن حُفّــتْ بكــدارة عــيشٍ   وبــؤسٍ وحــزنٍ شــجي وفنــاءْ
لا نَسْــلُوْ عــن أهــل وعيــالٍ   ولكــن بــذلك كــان القضــاءْ[(٢)]

*****

حكمة

من ثمرات الاعوجاج الاستدراج.

*****

---

(١) (٢) للمؤلف.

حقيقة

كثير من الذئاب مستترة بالثياب.

تأملات

مهما كانت جلسة الإنسان مع غيره، سواء كانت هذه الجلسة دينية أو دنيوية، سواء كانت هذه الجلسة في الجدّ أو في اللهو واللعب، وسواء كانت مع الأسرة داخل البيت، أو للتنزّه وسواء كانت هذه الجلسة في حلقات العِلْم وتحفيظ القرآن الكريم، وسواء كانت ماتعة أو مُمِلّة، وسواء كانت خفيفة أم ثقيلة، مهما كانت هذه الجلسة فإنها لا تدوم ولكن يبقى أثرها.

*****

التعامل مع الآخرين

إن تعاملك مع الجاهل الأحمق، وخِلْطتك له، وإن كنت عاقلاً، وفطناً وحَذِراً، وتُعامِله بالرويّة، وتأخذه بالمداراة، فإنه لا بد يوماً من الأيام يصيبك منه شيء، إمّا شرارة من شرره وناره، وإمّا سَمُومٌ حارّة من كلامه ومنطقه تلفح وجهك وجلدك، وإمّا...، وإمَّا...، ولكن احذر أن يصيب عقلك منه شيءٌ، فتصبح أنت وإياه سواء.

*****

حكمة

الحسد يُضْني الجسد.

نعمة العقل

عندما يقول بعض الناس: إن فلاناً عاقلٌ، ويصفونه بالعقل، ويقولون عنه: هو عاقل، أو راجح العقل، أو إن رأيه سديد مثلاً، أو هو رزين، وبالمقابل عندما يقولون مثلاً: فلان قليل العقل، أو إنه أحمق، أو يقولون: هو غير سديد الرأي، فمن أين لهم هذا الحُكم؟ ومن أين أَتَوْا به؟ وكيف حكموا لكل منهما بهذا الحُكم؟

إن الإنسان لا يعلم الغيب، وإنما حكموا بهذا الحُكم لكلٍّ منهم من طريقين هما:

الطريق الأول: من كلامه ومنطقه، ولسانه وما يَتَفَوَّهُ به، فإذا سمعوا كلامه، وأنه كلامٌ موزون ومحكم بعيد عن السخافات والترهات، ينطق بالحكمة، ويستفيد من كلامه سامعوه وجلساؤه وإذا نُقِل كلامه إلى غيرهم، أُعْجبوا به، ورأوا فيه الحكمة ورجاحة العقل والفائدة حكموا عليه أنه عاقلٌ وأنه ذو عقلٍ راجح، ورأي سديد، قال الله تعالى عن ملكة سبأ: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل] وقال تبارك وتعالى عنها أيضاً: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النمل] فهذا كله يدل على رجاحة عقلها وسداد رأيها، وعن

عبد الله بن عمرو ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوةٍ له ففزع الناس، فخرجتُ وعليَّ سلاحي، فنظرتُ إلى سالم مولى أبي حذيفة عليه سلاحه يمشي وعليه السكينة، فقلتُ: لأقتدينَّ بهذا الرجل الصالح، حتى أتى فجلس عند باب رسول الله ﷺ، وجلست معه، فخرج رسول الله ﷺ مُغْضَباً فقال: «يا أيها الناس، ما هذه الخِفَّةُ؟ ما هذا النَّزقُ[١]؟ أعجزتم أن تصنعوا كما صنع هذان الرجلانِ المؤمنانِ؟»[٢].

ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فأجلسه في صدر المجلس، فقام رجلٌ، وقال: مظلوم يا أمير المؤمنين، قال: من ظلمك؟ قال: عمارة بن حمزة، الذي أجلسته في صدر المجلس، غصب لي ضيعة. فقال المنصور: قُمْ يا عمارة فاستوِ معه في المحاكمة، واقعد عند خصمك، فقال له عمارة: ما هو خصمي يا أمير المؤمنين. قال: وكيف ذلك؟ قال: إن كانت الضَّيْعةُ له فلستُ أُنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، وهي مِلْكهُ دوني، ولا أقوم من مجلسٍ شَرَّفني به أمير المؤمنين. فاستحسن المنصور فِعْلَهُ، واستجودَ عقله[٣]. وفي المقابل انظر كيف حكم الله تعالى على بعض الناس بخلوّهم من العقل، قال الله سبحانه وتعالى:

---

(١) النزق: الخفة في كل أمر والعجلة في جهل وحمق وهو من الطيش والخفة (لسان العرب لابن منظور – نزق).

(٢) المستدرك للحاكم (٦٣٧٤) وصحّحه ووافقه الذهبي.

(٣) المختار من نوادر الأخبار المنسوب إلى محمد بن أحمد المقَّري (١٤٦).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ ﴾ [الحجرات]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن على النبي ﷺ رجلٌ فقال: «ائذنوا له، فبئس ابن العشيرة – أو – بئس أخو العشيرة» فلمّا دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله، قلتَ ما قلتَ ثم ألنتَ له في القول. فقال: «أَيْ عائشة، إن شرَّ الناس منزلةً عند الله مَنْ تركه – أو وَدَعَهُ – الناس اتِّقاء فُحشه»[1]. وكان الكسائي في مجلس هارون الرشيد، فسئل عن إعراب بيت فأخطأ في جوابه، فقام أبو محمد اليزيدي فأعرب البيت، ثم ضرب بقلنسوته على الأرض، وقال: أنا أبو محمد. فقال له يحيى بن خالد البرمكي: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين؟ والله إن أخطأ الكسائي مع حُسْن أدبه لأحبّ إليَّ من صوابك مع سوء أدبك[2].

الطريق الآخر: هو تصرّف الإنسان في المواقف التي تمرُّ به سواء أكانت هذه المواقف حرجة أو مواقف مفاجئة تتطلّب سرعة معالجتها والتفاعل معها والتخلّص منها، أو كانت مواقف محزنة، فمعالجة مثل هذه المواقف تُنْبي عن عقل من يعالجها ويتفاعل معها، فإذا عالج هذه المواقف بحكمة ورويّة وبداهة وحسن تصرف، ولم يظهر عليه أثناء معالجتها أيّ ارتباك، أو أيّ اضطراب، بل كان شجاعاً، رابط الجأش، حكيماً عاقلاً في تفاعله وتعامله معها، وأعجب مَنْ

---

(١) البخاري (٦١٣١) واللفظ له ومسلم (٢٥٩١).

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٢٥٨).

حضر هذه المواقف، أو سمع عنها بحسن تصرفه، وجمال منطقه فيها، حكموا له بأنه عاقلٌ، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْح – يعني بالعالية – فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت: وقال عمر: واللهِ ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، ولَيَبْعثَنَّهُ اللهُ فليقْطعنَّ أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فَقبَّلَهُ فقال: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حيًّا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله المَوْتَتَيْنِ أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف، على رِسْلِكَ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر[1].

فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا مَنْ كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حَيٌّ لا يموت، وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر] وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران]. قال: فَنَشَجَ الناس يبكون. الحديث[2].

وعن أنس رضي الله عنه، أن أبا طلحة كان له ابن يُكْنَى أبا عمير، قال: فكان النبي ﷺ يقول: «أبا عميرٍ ما فعل النّغَيْر؟» قال: فمرض وأبو طلحة غائب في بعض حيطانه، فهلك الصبيّ، فقامت أم سُلَيمْ فغسَّلتْهُ، وكفّنتْهُ، وحنّطتْهُ، وسَجَّتْ

---

(١) البخاري: (٣٦٦٧).

(٢) البخاري: (٣٦٦٨).

عليه ثوباً، وقالت: لا يكون أحدٌ يخبر أبا طلحة حتى أكون أنا الذي أُخبره، فجاء أبو طلحة كالًّا وهو صائم فتطيّيتْ له، وتصنَّعَتْ له، وجاءت بعشائه، فقال: ما فعل أبو عمير؟ فقالت: تعشَّى وقد فرغ، قال: فتعشَّى، وأصاب منها ما يصيب الرجل من أهله، ثم قالت: يا أبا طلحة، أرأيت أهل بيتٍ أعاروا أهل بيتٍ عاريّةً فطلبها أصحابها أيردُّونها أو يحبسونها؟ فقال: بل يردُّونها عليهم، قالت: احتسب أبا عمير،... الحديث[1].

وفي المقابل إذا لم يحسن الإنسان التصرف في مثل هذه المواقف المباغتة أو المحرجة، أو الحزينة، وظهر عليه ارتباك أو سفهٌ، أو أطلق كلاماً مجازفة وعلى عواهنه وبدون رويَّة، أو بدت منه حركات غير لائقة أو تصرفات هوجاء تدلّ على نقصٍ في عقله، وتمنَّى مَنْ كان يحضره أنه لم يقل هذا الكلام، ولم يتصرف هذا التصرف، فمثل هذا يُحكم عليه بأنه ناقصٌ في عقله، سفيهٌ في كلامه، غير سديد في رأيه، فَيُرْوَى أن الرشيد رحمه الله أمر جماعة من أهل العلم بمحادثة المأمون وهو صغير، في أوّل الليل، ليقتبس الأدب، فجلس الحسن بن زياد ليلةً، فبينما هو يحادثه ويناشده، إذ نعس المأمون، فقال الحسن: نِمْتَ أيها الأمير؟ فاستيقظ، وقال: سُوقيٌّ أنت ورب الكعبة، يا غلام خذ بيده فأخرجه، ولا تأذن له

---

(١) جزء من حديث رواه ابن حبان في صحيحه (٧١٨٨) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن وأصله في الصحيحين.

بالدخول علينا بعدها، فبلغ الرشيد خبره فاستصوب رأيه[١]. ويُحكى أن أحمقين اصطحبا في طريق، فقال أحدهما للآخر: تعال نَتَمنَّ على الله فإن الطريق تُقْطعُ بالحديث. فقال أحدهما: أنا أتمنَّى قطائع غنم، أنتفع بِلَبَنِها ولحمها وصوفها، وقال الآخر: أنا أتمنَّى قطائع ذئاب أُرسِلُها على غنمك حتى لا تترك منها شيئاً. قال: ويحك، أهذا من حقّ الصحبة وحرمة العشرة. فتصايحا وتخاصما، واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالأطواق[٢]، ثم تراضيا على أنّ أوّل من يطلع عليهما يكون حكماً بينهما، فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زِقَّان[٣] من عسل، فحدّثاه بحديثهما، فنزل بالزِّقَيْنِ وفتحهما حتى سال العسل على التراب، قال: صبَّ الله دمي مثل هذا العسل إن لم تكونا أحْمقَيْنِ[٤][٥].

*****

حكمة

من ثمرات الملازمة للمنهاج، الاستقامة والابتهاج.

(١) المختار من نوادر الأخبار المنسوب إلى محمد بن أحمد المقري (٦٥).

(٢) أي أمسك كل منهما بمجامع ثوب الآخر.

(٣) زقان مثنى زق وهو كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه (لسان العرب لابن منظور – زقق).

(٤) أي فكان القاضي بينهما أحمق الثلاثة.

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي (١ – ٣٠).

وقفة

لو لم يكن بعد القبر شيءٌ، مع ما فيه من الوحدة والوحشة والبُعْد لكفى، ولكن وراءه ما وراءه.

*****

هديّة

كُنْ شابًّا في الطاعة، ومُعْدماً في المعصية.

*****

ضرر المخالفات

المعاصي تُسَوِّدُ النواصي.

*****

موسم الحصاد

من المتعارف به عند الناس أَنَّ لكل محصول موسماً لحصاده، وكذلك لكل تجارة موسم للمراجعة والجَرْد، وكذلك لكل عمل موسم لحصاده فيه، فمثلاً المحاصيل الزراعية لها موسم تحصد فيه، ويستفاد منها بعد حصادها سواء للتخزين أم لبيعها، فالفلّاحون أصحاب هذه المهنة يعرفون ذلك جيّداً، ويعرفون المحصول الذي بين زرعه وحصاده مثلاً سنة كاملة، أو ستة أشهر، أو شهراً واحداً أو أقلّ من ذلك أو أكثر، فهم يُهيّئون كل ما يحتاجه هذا المحصول،

فيختارون الأرض الطيّبة الخصبة، ويتجنّبون الأرض السبخة والقيعان، كما يختارون المكان الجيد لهذا المحصول فلا يزرعون في مجاري السيول حتى لا تجرفها، ويُسوِّرون هذه الأرض حتى لا تقتحمها الحيوانات فتأكل هذا المحصول، فيذهب عملهم هباءً منثوراً، ثم يبدؤون حرث هذه الأرض، وبذر البذور فيها، وسقيها بالماء، ثم إنهم لا يتركونها، بل يتعاهدونها بالسقيا والسماد، وقطع النباتات التي تنمو في الجوانب والتي تؤثر على صلاح هذا الزرع، كما يتعاهدون هذا المحصول بالمبيدات الحشرية، حتى لا تضيّع عليه هذه الحشرات تعبه وجُهْده، كما يدعون الله تعالى أن يصرف عن هذا المحصول كل أنواع الآفات التي تذهب به، كما يتنافس الفلاحون في الزراعة، ويحبّ أن يكون محصوله مميزاً عن المحصولات الأخرى، وأن يكون أجود وأفضل من محصول غيره، وأن يكون محصوله نادراً ومطلوباً في الأسواق أكثر من باقي المحصولات، وهكذا، حتى إذا ما اشتدّ زرعه، واستوى على سوقه، وبدا صلاحه تخيّر له أفضل الأسواق المنفقة للسلع، والتي يكون فيها البيع أفضل من غيرها، فيهبط بمحصوله إليها، ويبيعه فيها ويأخذ ثمنه كاملاً غير منقوص، بعد تعبٍ وجهدٍ منذ أن بذر البذر إلى أن حصده. وما يقال في الزراعة، يقال أيضاً في التجارات الأخرى المتنوعة، فإن لهم أيضاً موسماً معيناً، ووقتاً محدّداً كل سنة، يسمونه: (يوم الجَرْد) حيث ينظرون في المشتريات والمبيعات،

والمكاسب، ويحسبون أيضاً ما لحق بهم من خسارة ليتفادوها في المستقبل، ومعرفة مقدار المكسب الذي حققوه وحصلوا عليه بعد سنة من الركض، والعمل الدؤوب وراء هذه التجارة وحرصهم الشديد أن لا يخسروا فيها، ومحاولتهم الجادّة أن تكون هذه التجارة مكسبة لهم لا خسارة فيها.

فلكل عملٍ أو تجارةٍ أو زراعةٍ، أو أي نشاطٍ له يَوْمٌ هو: يوم الحصاد، هذا كلّه في الأعمال والنشاطات التي يقوم بها الإنسان ليكسب مِنْ ورائها دخلاً في الدنيا يعينه على متطلبات واحتياجات هذه الحياة، وللصرف على نفسه لإعفافها وإغنائها عن الآخرين، وكذلك للصرف على من يعول.

هذا ما يتعلق في الأعمال الدنيوية، وكذلك الأعمال التي تتعلق باليوم الآخر، والتي يعملها المسلم، ويقدمها لنفسه في هذه الدار، هي أيضاً لها يومٌ وموسمٌ لحصادها، ألا وهو: يوم التغابن، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩]. فكما اجتهد الفلّاح مثلاً أو التاجر أن يقدم أفضل ماعنده، وأن يحافظ عليه بتعاهده إياه، ومراقبته، ودفع الآفات عنه، وعمل كل ما في وسعه، ليكون ما يحصده في موسمه أفضل وأجود وأغلى ما يمكن، ليجني منه المكاسب الكثيرة، فكذلك على المسلم أن يقدم العمل الصالح الموافق للشرع الحنيف، والموافق للهدي النبوي، وأن يتعاهده، ويمنع عنه كل ما يذهب به حتى لا يكون عمله يحصده غيره، بأن يتجنّب كل ما يبطله ويحرمه

منه فيكون نصيبه منه فقط التّعب والنّصب، ويكون حصاده وفائدته لغيره. فانظر لأهل الأعمال في الدنيا، فإن كل واحدٍ منهم يحاول بل يجاهد أن يكون عمله خالصاً له لا يشاركه فيه أَحَدٌ غيره، حتى يستأثر بمكسبه وثمنه وفائدته هو وحده لا غيره. فكذلك المسلم عليه أن يحاول ويجتهد أن يكون حصاد عمله يوم القيامة له وحده لا يأخذه منه غيره، وأن يكون خالصاً له لا يشاركه فيه غيره، لأنه إذا لم يتعاهد زرعه – وهو عمله الصالح – بالمحافظة عليه، وإبعاده عن الآفات التي تذهب به وتبطله، والابتعاد عن الأعمال التي تودي به وتذهب به كان من نصيب غيره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا مَنْ لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس مِنْ أُمَّتي، يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دَمَ هذا، وضرب هذا فَيُعْطَى هذا مِنْ حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناته قبل أن يُقْضَى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه، ثم طُرِحَ في النار»[1]. فحافظ أيها المسلم على زرعك لتحصده أنت بنفسك، ولا يحصده غيرك. وقد قُلْتُ[2]:

إذا بذرت بذورك ولم ترعها بسقيا في الحصاد كسبتَ فلسا

---

(١) مسلم (٢٥٨١).

(٢) القائل: هو المؤلف.



حكمة

كثرة الملازمة تُفْضي إلى المخاصمة.

*****

فائدة المشورة

إذا كثرت المشورة، لقَّحت الآراء بعضها بعضاً فخرج من ذلك رأياً سديداً.

خاطرة

هل مَرَرْتَ يوماً من الأيام على نافخ كير؟ ماذا رأيتَ عنده؟ إن عنده شيئين اثنين:

الشيء الأول: نارٌ تضطرم مُسَعَّرة.

الشيء الثاني: مِرْزَبَّةٌ كبيرةٌ من حديد.

ولماذا هذان الشيئان؟

إنهما مُعَدَّتان للحديد. ولماذا للحديد فقط؟ لماذا لم يُعَدَّانِ مثلاً للخشب؟ أو للأقمشة؟

ذلك لأن الحديد قويٌّ وصَلْبٌ ومتماسكٌ، ولا يلين إلا بإِحْمَائه وَحَرْقِهِ في النار أولاً، ثم طَرْقه بمرزبّة الحديد الكبيرة القوية، لأن الحديد لا يمكن أن يستفاد منه على هيئته الأصلية الأساسية، فلذلك نافخ الكير إذا أراد أن يستفيد من كُتَلِ الحديد ويصنع منها آلة معينة مثلاً، فعليه أولاً أن يدخل هذه الكُتَل في

النار، حتى تصير قطعةً حمراء مُتَّقِدة لَيِّنَة بعض الشيء، ثم يخرج هذه الكُتَل فيطرقها حال حرارتها القويّة، طرقاً قويًّا لأنها تلين معه، ثم يصنع الآلة التي يريدها، أي أن مَنْ أراد أن يستفيد من الحديد في صناعة أيّ آلة، فعليه بحرقه في النار أولاً، ثم طرقه بالآلات القوية الثقيلة ثانياً.

هذا بالنسبة للحديد، فماذا نفعل مع قلوبنا القاسية؟

لقد قستْ قلوبنا حتى صارت كالحديد، أو أشد قسوة، فلا تؤثر فيها موعظة، ولا تلين لتذكرة، ولا توقظها أي عِبْرَة تراها أو تَمُر بها. فابتعدت قلوبنا عن أشياء كان ينبغي عليها أن تَقْرُبَ منها، وقَرُبَتْ من أشياء كان الأولى بها أن تبتعد عنها. فليخاطب كُلٌّ مِنَّا قلبه قائلاً له:

إياك يا قَلْبُ أن تكون قاسياً كالحديد الذي لا يلين إلّا بالحرق والطرق.

*****

حكمة

مَنْ أرخى اللِّجام كبَا بِهِ فرسه.

*****

خاطرة

من المواطن التي يظهر فيها أدب المرء، وحُسْن تربيته، أو العكس هي في الأيام الممطرة، فمثلاً يكون الطريق ممتلئاً بماء المطر، وقد اختلط هذا الماء



بالوحل والتراب والطين، وبعض الأشياء التي تكون عالقة فيه، وترى أحد السائقين مثلاً يقود سيارته بهدوء وبطء قد أخذ المسار الأيمن، وذلك حتى لا يؤذي أحداً بهذا الماء المحمّل بما فيه، فترى المارّة لا يتأذون منه، وكذلك تجده لا يتجاوز بسيارته السيارات الأخرى التي تسير معه في هذا الطريق، فيأتي آخر يقود سيارته بسرعة جنونيّة، غير مكترث بالمارّة ولا بالسيارات التي تسير في هذا الطريق الممتلئ ماءً، فيتجاوز غيره، فترى هذا الماء المحمّل بالوحل والتراب والطين قد ارتفع إلى الأعلى، كأنه موجٌ ثم سقط بقوة وبسرعة على سيارة هذا الذي يسير بأدبٍ وهدوءٍ، وسقط كذلك على سيارات غيره، وقد وقع بعضه على الزجاج الأمامي، فلا يدري غيره كيف يسير؟ وإلى أين هو متّجه؟ بل لعل بعض هذا (الموج) الطائر إلى أعلى قد يدخل على السائقين داخل سياراتهم، فيكون قد آذى غيره في نفسه، وفي سيارته، لأن بعض الذين يسيرون في مثل هذا الجوّ الذي قد احتجبت في الشمس خلف السحاب، قد يفتح الزجاج الذي بجواره ليشمّ الهواء العليل، أثناء قيادته بهدوء وببطء، فهل رأيتم مثل هذا المنظر؟ وما هو علاجه؟

*****

احذر

بئس ما خبّأتَ لأخيك.

خبأتَ له القطيعة وهو يصلك ويأتيك.

دعاء

يا رب وإن نزل بنا الألم.

فإنه لا يزال فيك الأمل.

حكمة

إذا أردتَ أن تعيب غيرك، فانظر إلى نفسك هل كَمُلَتْ، إنها لن تَكْمُلَ أبداً، فكيف تَعِيبُ مَنْ أَنْتَ وَإيّاهُ سواء؟!

*****

تأملات

إذا رأيتَ غُصْناً يابساً لا اخضرار فيه، ولا ورق يكسوه وهو مُتَّصِلٌ بشجرةٍ خضراء مورقةٍ رَيّانةٍ، فلك أن تعجب، وأن تسأل: لماذا هذه الشجرة خضراء يجري فيها الماء كُلّها إلا هذا الغصن قد يَبُسَ، وهو ما زال متصلاً بهذه الشجرة الخضراء؟ ألم يَصلْهُ من ماء الحياة والخضرة شيء؟ أم أنه لم يُمَدّ بشيءٍ مِنْ هذا؟ أم أنه هو لا يريد هذا، ورضي بهذا المنظر الغريب، وهذا اليبس؟!

*****

خاطرة

عندما تبدأ يومك، وتخرج مِنْ بيتك، لا يكن هَمُّكَ ما تقوله في غيرك مِنْ تجريح، وليكنْ همّك واهتمامك بما يقوله الناس فيك، فابدأ بنفسك فزمّها وأَلْزِمْها

مكارم الأخلاق، وّثَنِّ بهيئتك فأصلحها وتعاهدها، لتسمع الثناء الجميل عليك، والكلمة الطيّبة منهم الموجّهَة إليك، وليبقى لك بعد ذلك الذّكر الحسن.

*****

حكمة

جميلٌ بالإنسان أن يَرِدَ بالقَوْل، ويَصْدُرَ بالعمل والفعل.

وغير جميلٍ بالإنسان أن يَرِدَ بالقول، ويصدر بالقول.

*****

دعاء

اللهم اجعل القرآن العظيم إمَامَنَا وأمَامَنَا.

*****

واحة الشعر

إنـــــما الـــــدنيا غـــــادةٌ زيّنـــــتْ ليلهـــــا للعـــــريسْ

وردةٌ فاحـــــــت عبقـــــــاً أبهجـت أمـس كـل جلـيسْ

فـــــإذا هـــــي ذابلـــــةٌ مِـن فـرط مسـاس اللّمـيسْ[1]

*****

(١) للمؤلف.

حكمة

المعصية: غَمٌّ وحَبْسٌ وبؤس.

والطاعة: فَرَحٌ وانطلاقٌ وأُنْس.

*****

قسمة الأرزاق بين الناس

عندما خلق الله سبحانه وتعالى الخلق، وَعَلِمَ حسدهم بعضهم بعضاً، وأنانيّتهم، وحبّ كل واحدٍ منهم أن يحوز كل شيء لنفسه، ولا يعطي غيره شيئاً، وأن كل إنسان يحبُّ أن يستأثر بكل شيء، ويمنعه غيره، سواء أكان محتاجاً له أو غير محتاجٍ له، فلمّا كانت هذه طبائع البشر، تولّى سبحانه وتعالى قسمة الأرزاق بين عباده، ولم يجعل لأحدٍ من البشر يداً فيها. فالله جلّ وعلا هوالذي يرزق وحده لا غيره، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾[هود] وقال عزّ وجل: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠ ﴾ [العنكبوت] فالحمد لله الذي جعل الرزق (سماويًّا) ولم يجعله (أرضيًّا) وإلّا لرأيت العجب العجاب في الخلق، فهذا قد شُجَّ رأسه من المنازعة والمقاتلة في أخذ رزقه بقوّة، وهذا صار أعور قد فُقِئَتْ إحدى عينيه، وهذا قد جُرِحَ خدّه، وهذا قد كُسِرَ ساقه، وهذا قد سال دمه على

وجهه، وهذا، وهذا، فالحمد لله رب العالمين القائل: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

*****

حكمة

المَنْطقُ بريد العقْل.

*****

دعاء

اللهم اجعل المسلم بعيداً عن الكبائر، وكبيراً عن الصغائر.

*****

خاطرة

الدنيا بَحْرٌ متلاطم الأمواج والرياح، فَكُلُّ من وُلِدَ سَبَحَ في هذا البحر، فإن نجا من الغَرَقِ فيه، لم يسلم مِنْ أمواجه وحيتانه.

*****

الدَّيْن

إياك ثم إياك من التوسّع في الدَّيْن! فإنه كالسُّم لا ترتاح معه حتى يتخلّص منه الجسم.

*****



حكمة

ابذل المال لا لِيُقَال ولا لِتنَال.

*****

وَصِيَّة

عليك بالخلوات في الظُّلُمات.

وعليك بالصلوات وقت الغفلات.

وعليك بالدعوات عند تَنَزُّلِ الرحمات.

*****

خاطرة

مَنْ يبغضك ويكرهك فإنه لا يخلو من إحدى حالتين:

الحالة الأولى: إمَّا إنه يبغضك ويكرهك ويحقد عليك لسبب من الأسباب، فهذا البغض والحسد لا يزول حتى يزول هذا السبب، وهو غالباً يكون لنعمةٍ أسداها الله تعالى عليك، كعلم أعطاكه الله تعالى، أو أدبٍ جَمٍّ، أو حكمة وعقلٍ حباك الله تعالى به، أو وَسَّعَ الله جل وعلا في رزقك، أو منحك سبحانه وتعالى ذرية كثيرة صالحة، أو غير ذلك من النعم، فهذا البغض والكره لا يزول حتى تزول عنك هذه النعم، أي أن حقده وحسده متعلقٌ ببقاء هذه النعم عندك، فإذا زالت عنك هذه النعم وفقدتها زال عنك حسده وبغضه وكرهه لك، وهذا هو

الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمةٍ محسود»[١].

الحالة الثانية: وإمَّا أن يكرهك ويبغضك ويحقد عليك لذاتك وبدون سبب معروف وظاهر، فهذا الحقد والحسد والكره يكون في دم وقلب الكاشح البغيض، وهذا النوع يبقى في الإنسان طيلة الحياة، لأنه متعلق في نفس هذا الحاسد، وليس له سببٌ فيزول بزواله، فلا يزول إلا بموت أحدهما، وهذا النوع هو الذي قال فيه الشاعر:

وتـراه ممقوتـاً ولـيس بمـذنبٍ ويرى العداوة لا يرى أسبابها[٢]

*****

دعاء

اللهم تقبّل حسنات الجلوات، وسلّمنا من الرياء.

اللهم واغفر سيّئات الخلوات، وخلّصنا من موبقات الخفاء.

*****

---

(١) المعجم الصغير للطبراني (١١٨٦) وصحّحه الشيخ الألباني كما صحّحه في الجامع الصغير للسيوطي (٩٤٣) كما صحّحه في السلسلة الصحيحة (١٤٥٣).

(٢) ديوان العباس بن الأحنف.

وقفة لطيفة

هناك مسافات طويلة جداً تُقْطَع وتُطْوَى في زمن قصير جداً، وذلك عند الشروع فيها والبدء بها، ولكن عند الرجوع والعودة من هذه المسافات تجد أن هناك مسافات قد اخْتُزِلتْ وفُقِدَتْ فلا تدري أين ذهبت؟ كما أن هذه السرعة قد أصابها التباطؤ، فلماذا؟ فمثلاً:

عندما يريد شخصٌ أن يقابل آخر له مصلحةٌ عنده، فهو يبدأ بالبحث عنه، والسؤال عن جميع أحواله، ويعرف مدخله ومخرجه، ويأخذ المواعيد منه، ويذهب ويجيء إليه، ويستعلم عن مواعيد خروجه من بيته، ويسأل عن أوقات وجوده في عمله، وعن وجوده في أماكن أخرى كالمسجد مثلاً، ولا يفتر عن الذهاب إليه في أيّ مكان هو فيه، فهذا الذهاب إليه والمجيء من عنده كلها مسافات قد طُويت بسرعات هائلة، قد تكون أسرع من الخيول القويّة المضمّرة والمعدّة للسباق، حتى إذا ما قابله والتقى به وأخذ منه ما يريد، وقضى حاجته ومطلوبه منه، ثم رجع من عنده فإنك تتفاجأ بأمرين اثنين:

الأمر الأول: أن هذه المسافات الطويلة التي قطعها هذا الإنسان حتى التقى مع من يريد، تجد أن بعض هذه المسافات قد اختُزِلتْ وفُقِدتْ، ولا تدري أين ذهبت؟ لأنه عندما يسأل عنه صاحب الحق، يقول له: أبشر، لا تأتي، أنا آتيك، أنا سأقابلك ثم لا يتحرك من مكانه ولا يذهب إليه، فهذه مسافة قد اخْتُزِلَتْ لأنها تعتبر مسافة واقفة، لم تتمدّد، لأن هذا الإنسان لم يتحرك من مكانه وهكذا

يأخذ بإطله، ممّا يجعل بعض هذه المسافات التي قطعها في الذهاب إليه، قد اختزلها وطواها وأخفاها وتجاهلها.

الأمر الثاني: أن هذه السرعات التي كانت كأسرع ما يكون، قد اعتراها وأصابها التباطؤ فنقصت، ثم أخذت تتناقص حتى أصبحت كسرعة السلحفاة، ثم تناقصت كذلك حتى أصبحت حركة في مكانها، لم تبرحه البتّة.

فياليت شعري لماذا فُقِدَتْ بعض هذه المسافات، وما المبرّر لها؟ ولماذا تناقصت هذه السرعات، وما الداعي لها؟!

*****

الحيا والحياء

الحيا: حياة للأرض، فإذا أصابها ونزل بها، أصبحت خضراء، وإذا قَلَّ الحيا أو فُقِدَ أصبحت الأرض جرداء قاحلة غبراء.

وكذلك الحياء: فإنه حياة للقلب، فإذا نزل به وكان فيه، أصبح ذا نورٍ وبهاء، وإذا فُقِدَ من القلب وكان خَلْواً منه، صار القلب في ظَلْماء، وصنع الإنسان ما يشاء.

*****

حكمة

العَامِل آمِل[1].

---

(١) فكلّ عاملٍ يؤمّل الأجر مِمَّن يعمل له، فالعامل للناس في هذه الدنيا، فإنه يؤمِّل الأجر منهم، وكذلك العامل للآخرة فإنه يؤمِّل الأجر من الله تعالى يوم القيامة.

وقفة سريعة

إذا فَقَدُوك تفقَّدُوك[١].

*****

حقيقة

الحياء في الخَلْوة هو الأوّل.

والحياء في الجلوة هو الثاني.

*****

عُلُوّ الهِمَّة

اِرْضَ بالدون من الدنيا الدنية، ولا ترضَ من الآخرة دون النجوم.

*****

حقيقة

إن دخولك في هذه الدنيا وخروجك منها كمدَّةِ لِبْسكَ ثوباً وخلعك إياه مِن جسمك.

*****

(١) أي لا يذكرون محاسنك وحوائجك حتى تموت أو تغيب عنهم بمرضٍ أو بسفرٍ أو بغيره.

عظماء ومواقف عظيمة

هناك مواقف عظيمة ورهيبة وقوية تتطلّب من الإنسان أن يكون أقوى منها، وأن يتجاوز حَدّ العقل وَقْتَ معالجتها، وإن لم يفعل فإنه يُوسَمُ بالضعف، لأن بعض المواقف شديدة الوقع، وسريعة الانتهاء، فتتطلَّب مِمَّنْ يعالجها، أن يقوم بتصرفٍ وعلاجٍ أقوى منها، قال الشاعر:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركب فما حيلة المضطر إلا ركوبها[1]

فانظر مثلاً إلى سيّد العقلاء وأكمل البشر ﷺ، عندما مرَّ عليه موقف عظيم وقويّ، كيف عالجه في وقته، ثم رجع إلى حَالِهِ ﷺ، هذا الموقف هو خروجه إلى قتال بني قريظة، فهؤلاء اليهود وقفوا من الرسول ﷺ، ومن الإسلام ومن الصحابة موقف العداء، حتى إنهم خانوه يوم الخندق، فهؤلاء – بنو قريظة – لا بد لهم من رجل عظيم قوي يرهبهم ويخيفهم، لأن موقفهم كان عظيماً وقوياً، وعداوتهم كذلك كانت قوية وشديدة، تتطلّب معالجة هذه المواقف بقوة لا ضعف فيها، وبحزمٍ لا هوادة فيه، ولا مطمع لأحدٍ فيه، لأن اليهود كما هو معروف قومٌ بُهْتٌ، وأهل خيانة وغدر ومكْر وحيلة، فإذا كان الأمر لهم قاموا دونه بقوة وجَلَد، وإن خسروه قاموا يداهنون مَنْ ينابذهم فيه، فأرادوا أن يستعملوا هذا مع رسول الله ﷺ، لأنهم لما رأوا انتصار الرسول ﷺ وصحابته

---

(١) البيت للشاعر الكميت الأسدي.

في غزوة الخندق، وهزيمة قريش والأحزاب الذين ناصروهم، ووقفوا معهم ونقضوا – أي بنو قريظة – العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ، وسمحوا لقريش ولمن معهم بالدخول للمدينة مِنْ جهتهم، لمّا رأوا هذا كلّه، أرادوا أن يستميلوا رسول الله ﷺ ويخادعوه، ويستعطفوه بكل ما يجدون من كلامٍ أو مالٍ، ظنًّا منهم أنه عليه الصلاة والسلام مثلهم، ولم يدركوا أنه رسولٌ من الله تعالى، يقول الحقّ، ويحكم بالحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فلهذا كلّه كان الموقف كلّه يتطلب رجلاً حازماً قويًّا عظيماً يواجههم من أوّل مرة بالقوة والشدة والحزم، حتى يقطع عليهم كل أملٍ في المداهنة، وكل مطمع في استمالته ﷺ، فمنذ أن دخل عليه الصلاة والسلام أرضهم وديارهم عاملهم بالحزم والقوة، لما يتطلّبه هذا الموقف منه ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، أنّ رسول الله ﷺ كان عندها، فسلّم علينا رَجُلٌ ونحن في البيت، فقام رسول الله ﷺ فزعاً، فقمتُ في أثره، فإذا دِحْيَةُ الكلبي، فقال: «هذا جبريل عليه السلام يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة، فقال: قد وضعتم السلاح، لكنّا لم نضع، قد طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد» وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق، فقام النبي ﷺ فزعاً، فقال لأصحابه: «عزمتُ عليكم أن لا تصلوا العصر حتى تأتوا بني قريظة» فغربت الشمس قبل أن يأتوهم، فقالت طائفة من المسلمين إن النبي ﷺ لم يُرِدْ أن تدعوا الصلاة، فَصَلُّوا، وقالت طائفة: إنا لفي عزيمة النبي ﷺ،

وما علينا من إثم، فَصَلّتْ طائفة إيماناً واحتساباً، وتركت طائفة إيماناً واحتساباً، ولم يَعِبِ النبي ﷺ واحداً من الفريقين، وخرج النبي ﷺ فمرَّ بمجالس بينه وبين بني قريظة، فقال: «هل مر بكم من أحدٍ؟» قالوا: مرَّ علينا دِحْية الكلبي على بغلةٍ شهباء تحته قطيفة ديباج. فقال النبي ﷺ: «ليس ذلك بدِحْية، ولكنّه جبريل عليه السلام، أُرْسِلَ إلى بني قريظة ليُزلْزِلَهُمْ ويقذف في قلوبهم الرُّعب». فحاصرهم النبي ﷺ، وأمر أصحابه أن يستتروا بالحجف حتى يُسْمِعَهُمْ كلامه، فناداهم: «يا إخوةَ القِردة والخنازير» قالوا: يا أبا القاسم، لم تَكُ فحَّاشاً. فحاصرهم حتى نزلوا على حُكْمِ سعد بن معاذ رضي الله عنه، وكانوا خلفاءه، فحكم فيهم أن تُقْتَلَ مُقَاتَلتهم، وتُسْبَى ذراريُّهم ونساؤهم[1].

وحاشاه ﷺ أن يكون فاحشاً أو متفحّشاً، وهو الذي كان ينهى عن الفُحْش والتفحّش، وهو الذي وصفه أصحابه رضي الله عنهم بأنه لم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً ولا سخّاباً في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، فهذه هي صفاته ﷺ الدائمة الملازمة له حتى مات عليه الصلاة والسلام، ولكن بعض المواقف تتطلّب القوة والحزم لمواجهتها وعلاجها، فكان لها ﷺ، وكان هذا هو

---

(١) المستدرك للحاكم (٤٣٧٩) وصحّحه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم فإنهما احتجّا بعد الله بن عمر في الشواهد (هو أحد رواة هذا الحديث) وقال ابن كثير رحمه الله عندما ذكر هذا الحديث قال: ولهذا الحديث طرق جيّدة عن عائشة وغيرها (البداية والنهاية – ٤/ ٣١٤).

منطق العقل، وهذا هو تصرف العقلاء والحكماء في مثل هذه المواقف.

وكذلك انظر إلى موقف أبي بكر الصديق ﵁ العظيم عندما مات النبي ﷺ، فإنه لمّا توفي النبي ﷺ لم يصدّق الصحابة ذلك، فإنهم قد تعلقوا بالنبي ﷺ وأحبُّوه وألفوه حتى صار منهم كالقلب في الجسد، متى فقد هذا القلب مات الجسد، فلما جاءهم خبر موته ﷺ، اجتمعوا في المسجد وخاضوا في هذا الخبر، وأنكروا هذا الخبر، وإن النبي ﷺ لم يمت، حتى إن عمر ﵁ أنكر موت النبي ﷺ وقال كلمته المشهورة، مَنْ قال إن النبي ﷺ مات ضربت عنقه بهذا السيف، وكان معظم الصحابة ﵃ مجتمعين حول عمر ﵁، فلما جاء خبر وفاة النبي ﷺ إلى أبي بكر الصديق ﵁، أقبل على فرسٍ من مسكنه بالسُّنْح، حتى نزل، فدخل المسجد فلم يكلّم الناس حتى دخل على عائشة، فيمَّمَ رسول الله ﷺ وهو مُسْجىً بِبُرْدٍ حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبّله، ثم بكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، واللهِ لا يجمع الله عليك موتتين أبداً، أما الموتةُ التي كُتِبتْ عليك فقدْ مُتَّهَا، ثم خرج أبو بكر الصديق ﵁ من عند النبي ﷺ ودخل المسجد، والناس مجتمعون حول عمر ﵁، فتشهَّد أبو بكر الصديق ﵁، فأقبل الناس إليه، فقال: أمَّا بعد، فمن كان يعبُد محمداً فإن محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]



فقال عمر ﵁: والله، ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعرفت أنه الحق، فَعَقِرْتُ، حتى ما تُقِلُّني رجلاي، وحتى هَوَيْتُ إلى الأرض، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات[1]. فهذا الموقف العظيم والرهيب وهو وفاة النبي ﷺ يتطلّب وقفة عظيمة من رجلٍ عظيم، فكان أبو بكر ﵁ لها وأهلها.

وانظر كذلك إلى موقف عمر بن الخطاب ﵁ العظيم في بيعته لأبي بكر الصديق بالخلافة، فإنه لما كان يوم وفاة النبي ﷺ، كان أكثر الصحابة ﵃ في مسجد الرسول ﷺ قد أحزنهم هذا الخبر وأدهشهم، إذ لم يصدقوا ذلك، فبينما هم في المسجد، سمع عمر ﵁ باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقال لأبي بكر الصديق ﵁: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، قال عمر ﵁: فانطلقنا نريدهم، حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فلما جلسنا قليلاً، تشهّد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أمّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهطٌ، فقام أبو بكر الصديق ﵁ فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أَهْلٌ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحيّ من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً، فقال قائلٌ من الأنصار: مِنّا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشر قريش، فكثر اللّغط وارتفعت الأصوات حتى فَرِقْتُ من

---

(١) البخاري (٤٤٥٢، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤).

الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار، قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حَضَرْنا من أمرٍ أقوى من مبايعة أبي بكر[١]. فانظر إلى هذا الموقف العظيم من هذا الرجل العظيم، وكيف حسم الأمر قبل أن يتشتَّت ويتشعَّب.

*****

المبادرة السريعة

تجهَّز واستعدّ للرحيل قبل الترحيل.

المالُ

المالُ: صاحب. فإن أحسنتَ مدخله ومخرجه نفعك بإذن الله، وإن أسأتَ مدخله ومخرجه ضرَّك في الدنيا والآخرة.

*****

واحة الشعر

سيرتفع الدين دوماً ... يبتُّ عروق الصليب

فمن مكة مشرقاً نوره ... للأنام الدروب

ويعرّج ضوءًا هنا ... فوق بيت النبيّ الحبيب[٢]

---

(١) انظر صحيح البخاري (٦٨٣٠) باختصار.

(٢) للمؤلف.



نصيحة

خذ من غيرك عِبْرة، ولا تكن لغيرك عِبْرة.

*****

خاطرة قصيرة

الدنيا كلها: فرح وترح.

فإذا فرحتَ فلا يذهب بك الفرح ويشطح بك فينقلبُ فرحك تَرَحاً.

وإذا نزل بك الترح، فلا تيأس ولا تقنط، ولكن أَمِّلْ فَرَحاً.

*****

حكمة

السيف: عَدْلٌ أَوْ حَيْف.

*****

تقديم ملف للنجاح والقبول

كل مَنْ يريد عملاً أو وظيفة ما، فإنه يقدّم ملفًّا، فيه سيرته الذاتية، وينصحه مَنْ عنده أن يضيف لهذه السيرة الذاتية الخاصة بحياته وشخصيته كلّ ما عنده مِنْ دورات أو خبرات أو شهادات، أي إنهم ينصحونه أن يملأ هذا الملفّ بكل ما لديه من أمور تُرَغِّب فيه، حتى يكون أحرى وأولى من غيره في قبول هذه الوظيفة، وحتى يكون أهلاً لهذا العمل من غيره، فبهذه الطريقة يكون أقرب

للقبول والموافقة له في هذا العمل، أمّا إذا كان هذا الملفّ ليس فيه إلا ورقة أو ورقتين، وهي سيرته الذاتية: اسمه وشهادته وتاريخ ميلاده فقط، فإنه سوف يتأخر، وإن قُبِلَ فإنه يكون في عملٍ أدنى، ووظيفةٍ أَقَلّ، ليس مثل مَنْ ملأ ملفّه بأوراق كثيرة، مِنْ دورات وخبرات وشهادات وغير ذلك، فإن مثل هذا يكون في وظيفةٍ أَعْلَى، وَعَمَلٍ أكبر ومميّز عن الأول، الذي ليس في ملفّه إلا ورقة واحدة أو ورقتان مثلاً.

فإذا كان هذا في وظائف الدنيا وأعمالها، ونشاطاتها، ودرجاتها، وسُلّمها الوظيفي، فإنه ينبغي للمسلم أن يهتم أيضاً بملفّه الأخروي، فيملؤه بالحسنات من فرائض ونوافل، فهذه هي الباقيات الصالحات، وأن يغتنم كل فرصة من الخير فيودعها في ملفّه هذا، وأن يحاول أن يقضي على السيئات ويمحوها من ملفّه بالتوبة إلى الله تعالى والاستغفار، والإقلاع عنها، وأن يجتهد طيلة عمره على المسابقة للخيرات، والابتعاد عن السيئات، وإن وقع في بعضها فعليه بالمبادرة لمحوها بالاستغفار والتوبة والندم فإن فعل هذا وقام به، فإنه سيكون يوم القيامة مستبشراً وفرحاً بملفّه هذا، وبما أودعه فيه بعد رحمة الله تعالى له، وسيكون بعد رحمة الله تعالى له وقبول عمله في أعلى درجات الجنة يوم القيامة، فكما أنّ وظائف الدنيا وأعمالها تتفاوت مِنْ شخصٍ لآخر، فبعضها عالٍ جداً، وبعضها وسط، وبعض أقلّ، فكذلك درجات الآخرة تتفاوت مِنْ إنسان إلى

آخر، فبعضهم في أعلى الجنة، وبعضهم في وسطها، وبعضهم في أسفلها، قال الله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء] وقال جلّ وعلا: ﴿ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران] وعن أبي سعيد الخدري ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءَوْنَ أهل الغرف مِنْ فوقهم، كما تتراءَوْنَ الكوكب الدُّرِّيَّ الغابر من الأُفُق من المشرق أو المغرب، لتفاضُلِ ما بينهم» قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى، والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين»[١].

*****

دعاء

يا رب أنت في كل شيء[٢].

يا رب أنت كل شيء.

*****

وصيّة

إياك أن تغني غيرك بحسناتك وتُفْقر نفسك.

---

(١) البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١) واللفظ له.

(٢) المقصود في كل شيء أي: في دعائي وحاجاتي، وليس المقصود أن الله في كل مكان.

خاطرة جليّة

إن الإنسان منذ أن يولد، ويقع على الأرض، وهو في سَفَرٍ إلى الدار الآخرة، وهو في سفره هذا مثل رجل يقود سيارته إلى مكان معيّن يريد الوصول إليه، فبدأ سفره في أمنٍ وأمانٍ لا مُنَغِّصات ولا مكدِّرات تمرُّ به، حتى إذا قطع شوطاً من هذا السفر وإذا في الطريق حفريَّات وآلات وأسلاك وأحجار قد تبعثرت وتناثرت هنا وهناك في الطريق، فاضطرَّ أن يقف حتى أُزيلت هذه العوائق، ثم بدأ يواصل السفر بسيارته في هذا الطريق فوجده ممهّداً ومستوياً ومريحاً لا يُنْغِصُهُ فيه شيء، حتى إذا سار مسافة منه وإلا بقطيعٍ من الحيوانات تريد أن تعبر هذا الطريق لا محالة وقد توسّطت من الطريق، فاضطرَّ أن يقف حتى عبرت كل الحيوانات ثم بدأ سيره في هذا الطريق نفسه، فسار مسافة وهو في راحةٍ وأمانٍ، حتى إذا سار مسافة منه وإذا بسيلٍ جارفٍ قد ملأ الطريق وَعَبَرَهُ إلى الجهة الأخرى، فاضطرَّ أن يقف خوفاً من الغرق، حتى إذا تكامل جَرْي السيل إلى الجهة الأخرى، ولم يبقَ فوق الطريق منه شيء واصل هذا المسافر السير في نفس هذا الطريق بسيارته، وقد بلغ منه الجهد مبلغه، وبلغ قلبه حنجرته، وبلغ التعب بجسمه، ونفسه مبلغه، فوصل بإذن الله تعالى إلى المكان الذي خرج من أجله.

إن هذا المسافر هو كل إنسان وُلِدَ على هذه الأرض، والسيارة هذه هي جسمه ونفسه، والعوائق التي مَرَّتْ به في الطريق هي المنغِّصات والأكدار التي تعرض لهذا الإنسان في حياته، لأن الدنيا خُلِقَتْ هكذا، فَصَفْوُهَا مشوبٌ بكدر، والمكان الذي يريد أن يصل إليه، وكان مسافراً من أجله ومتّجهاً إليه هو قبره ومن ثَمَّ إلى الدار الآخرة.

*****

أصناف الرجال

قلت(١): الرجال أربعة:

١- رَجُلٌ مخبرٌ ومنظرٌ، وهذا من أكمل الرجال.

٢- وَرَجُلٌ مخبرٌ فقط، دون منظر، وهو دون الأول، وهو لا بأس به.

٣- وَرَجُلٌ منظرٌ دون مخبر.

٤- وَرَجُلٌ عديم المخبر والمنظر، وهو أسوأ الرجال جميعاً.

*****

خاطرة

أيّامك ثلاثة:

الأمس: وَصَلَتْ بضاعتك إلى السوق التي أرسلتها إليه، ولكن لا تدري هل نَفَقَتْ هذه البضاعة، أم كسدتْ؟

(١) القائل هو المؤلف.



اليوم: ملْكُكَ، فَأَدِرْ ملْكَكَ، وسوسه بما ينفعك.

الغد: غائبٌ عنك طال غيابه، وتنتظر قدومه ولكن لا تدري ماذا معه، وماذا يحمل لك، وأيُّ هدية معه لك، بل ولا تدري هل تلتقي به أم لا؟

*****

حكمة

كُنْ كالعسل يذوب في لماء، ولا تكنْ كالرّصاص لا يذوب إلا بالنار.

*****

العقل والحمق

مِن الحُمْق أن تستوفي كلّ ما لك من حق.

*****

توجيه

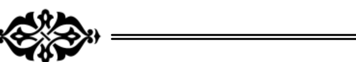
أرسلْ قلبك إلى الآخرة قبلك.

*****

نصيحة

فَكِّرْ ثم قَرِّرْ، ولا تُقَرِّرْ ثم تفكّرْ.

*****



ملاحظة

الحاسد= ٢ × ١

*****

قصة قصيرة

كان هناك رجلٌ يسكن في حيٍّ كبير، وبه كثافة سكّانية كثيرة، ثم أُعْطِيَ هذا الرجل سكناً جديداً آخر، بعيداً عن هذا الحيّ الذي يسكن فيه، فأخذه واستلمهُ وتَمَلّكَهُ، ولكنه أهمله فلم يعمل فيه شيئاً جديداً، ولم يُحْدِثْ فيه أيّ تغيير، فجاءهُ جيرانه وقالوا له: يا فلان ما لك أهملتَ بيتك الجديد الذي تملّكته أخيراً؟ نراك قد نسيتَهُ ولم تجدّد فيه أي شيء، يجب عليك أن ترسل إليه بعض الأثاث، وتبعث إليه بعض الأجهزة، فإن صاحب هذا البيت الذي تسكن فيه الآن يوشكُ أن يطلب منك أن تتركه وترحل عنه،ويوشكُ أن يأخذه منك بين عشية وضحاها، ثم تذهب إلى بيتك الأخير فإذا هو خَلْوٌ من كل شيء، فلا تجد فيه شيئاً، فكيف يطيب لك فيه المقام والسُّكْنى، وكيف تطيب لك الحياة فيه وهو قَفْرٌ من كل شيء؟ فقال لهم: سأفعل.

ثم مضت أيامٌ وشهورٌ وأعوامٌ ولم يفعل شيئاً في هذا البيت الجديد، ولم يجهِّزْهُ بأي جهاز، فذهب الجيران، وأخبروا إمام المسجد، وأعلموه بكل شيء عن هذا البيت فجاء إلى هذا الرجل، وقال له: يا فلان، إن جيرانك أخبروني أن لك بيتاً

غير هذا الذي تسكن فيه، وأنك قد أهملته فأصبح موحشاً لا شيء فيه، فهو قَفْرٌ، فَأَرْسِلْ له بعض الفِراش لتفرش به أرضه، حتى إذا رحلت إليه تجد ما يقي جسمك من الأرض، وَأَرْسِلْ إليه بعض آلات التبريد ومُلَطِّفات الجوّ، حتى إذا ما سكنت فيه تجد ما يقيك من لفح السموم، وشدّة الحر، وَأَرْسِلْ إليه كذلك ببعض حافظات الطعام والشراب لتجد عند سكناك فيه ما يَسِدُّ جوعك، ويروي ظمأك، واجْعَلْ فيه كل ما تحتاج إليه، حتى تجده عند رحيلك إليه وسكناك فيه، فإنك إن فعلتَ هذا تحوّل هذا البيت مِنْ صحراء قاحلة موحشة إلى دارٍ مؤنسة طيّبة ترتاح فيها وفي السكن فيها، وإلّا فإنك ستجد وحشةً وضيقاً وقفراً وفقراً في كل شيء، ولن ترتاح في سكنك فيه أبداً، قال سأفعل.

ثم مضت السنون، ولم يفعل شيئاً، وفجأةً طلب منه صاحب السكن والمنزل الذي يسكن فيه أن يُخْلِيَهُ، وأن يتركه، ويرحل عنه، وأن يُسَلّمَهُ إليه. وبالفعل ترك سكنه في هذا الحيّ مع جيرانه قسراً، وارتحل إلى بيته الأخير الذي أُعْطِيَهُ من قبل، فلمّا دخله، كاد يموت فَرَقاً من رؤيته، فلا أجهزة فيه، ولا أثاث يملؤه، ولا أَحَدٌ يؤنسه، ففكّر وفكّر، وجال فكره في كل شيءٍ، وتذكّر سعة رحمة الله تعالى، فقال: اللهم أدخلني في رحمتك التي وَسِعَتْ كل شيءٍ يا أرحم الراحمين.

*****



وصيّة

عليك بالهدوء في كل شيء، لتسلم من السوء في كل شيء.

*****

حكمة

النَّظرةُ أوّلُها لهف، وآخِرُها تَلَف.

*****

حقيقة مشاهدة

زُيِّنَ لبعض الناس خَبْط الدنيا بأكملها بما فيها، كما زُيِّنَ للراعي خبط ورق الشجر كله والحبلة معاً لمواشيه.

*****

أنواع القلوب

القلوب ثلاثة:

١ - قَلْبٌ مُعَلَّقٌ بالعرش.

٢- وقَلْبٌ مُعَلَّقٌ بالكرش.

٣- وقَلْبٌ مُعَلَّقٌ بالقرش.

*****

حكمة

لو أنَّ للذنوب أجراماً.

لجعلت في الدنيا زحاماً.

*****

فائدة

اعلم يا ابن آدم: أَنَّ لك يومين:

فالأول: هو الدنيا.

والآخر: هو اليوم الآخر.

فإن أُعْطِيتَ الأول فاجتهد فيه بالأعمال الصالحة لعلك تُعْطَى الآخر. وإن لم تُعْطَ الأول فاجتهد فيه أيضاً بالأعمال الصالحة، لعلّ الله تعالى يعطيك اليومين في يومٍ واحدٍ وهو اليوم الآخر.

*****

معرفة تصرّفات بعض المخلوقات

الفرق بين تصرفات الإنسان والحيوان تكمن في ما فضل الله تعالى به الإنسان على الحيوان، إذ أَنَّ تصرفات الإنسان تصدر عن العقل ومُغَلَّفة بالحياء، وتصرفات الحيوان عارية من العقل والحياء، فمتى فقد الإنسان العقل وانسلخ من الحياء، تَلَبَّسَ بالتصرفات الحيوانية التي ليس لها ضابط من عقلٍ ولا حياء،

فالحياء هو الذي يدلُّكَ على نوع التصرفات الصادرة من أي كائنٍ حيٍّ، فانظر مثلاً إلى الحيوانات كيف تتهارش في الشوارع وعلى الطرقات وفي العراء، فلا ضابط لها، وليس هذا بعجيب ولا غريب عليها، لأنها من قبل عُرِّيَتْ من العقل ثم الحياء فلا ضير عليها ولكن العجيب والغريب عندما تصدر تصرفات من الإنسان الذي أُعْطِيَ العقل والحياء، عندما تصدر منه تصرفات وسلوكيات مشابهة لتصرفات الحيوانات العجماوات، هذا هو الغريب والعجيب في آنٍ واحدٍ.

*****

واحة الشّعر

فنوّر ليالي الدجى بالصلاة ببيتٍ وإن كان فيه ضياءْ
ومازجْ صلاتك بالدمع طرًّا بسرٍ مخافةً عين الرياءْ
تصدّق بمالٍ وإن هو نَزْرٌ يصير زكاة لكم ونماءْ
وَصَلّ على المصطفى أحمد فصلاتك نور هدىً وضياءْ
وإن صلاةً عليه تزيد لك الخير ثم جزيل العطاءْ[1]

*****

(١) المؤلف.

خاطرة

إنَّ الله سبحانه وتعالى كتب على أهل المحشر الفرار، فَكُلٌّ يَفِرُّ مِنْ ولده، وصاحبته وأخيه، وعشيرته، والناس أجمعين، فلو بَقِيَ الأبناء ملتصقين بآبائهم وأمَّهاتهم وإلى جانبهم في ذلك اليوم الرهيب، لأعطى الوالدان أبناءَهم كُلّ حسناتهم، لينقذوهم من النار لما يحملون في جنباتهم لأبنائهم من الحنان والشفقة والحبّ والخوف عليهم، وَلَأَصبح الوالدان ليس عندهم ولا حسنة واحدة، فسبحان مَنْ كتبَ الفِرارَ في ذلك اليوم على أهل المحشر جميعاً، حتى لا يشعر أَحَدٌ بغيره، وإنما كل إنسان مشغول بنفسه.

*****

وصيّة

إن استطعْتَ أن لا يحرث أرضك غيرك فافعلْ.

وإن استطعْتَ أن لا يحصد زرعك غيرك فافعل.

حكمة

الابتسامة ربيع.

*****



تـأمّلات

١- بعض الناس إذا مات يفقده المسجد والصف الأول والغدوات والرّوْحات.

٢- وبعض الناس إذا مات يفقده جماعة المسجد والجيران والصلوات.

٣- وبعض الناس إذا مات يفقده البنك، والشّيكات والحوالات.

٤- وبعض الناس إذا مات يفقده المطار والتذاكر والسّفريّات.

٥- وبعض الناس إذا مات يفقده الأرامل والفقراء والمساكين واليتامى والمطلّقات.

٦- وبعض الناس إذا مات يفقده الصّيد والرحلات والاستراحات.

٧- وبعض الناس إذا مات يفقده الإخوان والأرحام والقرابات.

٨- وبعض الناس إذا مات يفقده النوم والظِّلُّ والبطالات.

٩- وبعض الناس إذا مات تفقده العزائم والولائم والحفلات.

١٠- وبعض الناس إذا مات تفقده مجالس العلم والدروس العلمية والدعوة والمحاضرات.

فانظر: إذا مِتَّ مَنْ يفقدك؟

*****

نصيحة

إذا أردت أن تأتي بمعلّمٍ ليُربّي ويعلّم ابنك فقل له: احفظ عني قول ثلاث، قبل أن تبدأ معه تعليم التراث:

الأولى: علّمه الأدب قبل أن تعلّمه العلم.

الثانية: علّمه بالفعل قبل أن تعلّمه بالقول.

الثالثة: اهتم بالمعنى قبل أن تهتمّ بالمبنى.

*****

حكمة

بعض الصَّمت مهابة.

وبعض الكلام كآبة.

ومعرفة وقت استعمالهما نجابة.

*****

فائدة

كُنْ في بيتك كالوردة التي يحاول الكلّ الاقتراب منها وشمّها ولا تكن في بيتك كالأسد الذي يحاول الكلّ الهروب منه والاختفاء عنه خوفاً من شراسته وافتراسه.

*****



حكمة

صِلْ يكثر الخِلْ ولا تقطع فَيَقِلْ.

*****

خاطرة

كُلُّ مَنْ غَرِقَ في شيءٍ فإنه يطلب النجاء.

إلّا مَنْ غرق في حبّ الله ونوره فإنه يطلب البقاء.

*****

عظمة الله تعالى وكرمه

لو قام كل حيْ.

وسأل الله تعالى كل شيْ.

فأعطى الله تعالى كل حيْ.

ما سأل من كل شيْ.

ما نقص من ملكه شيْ[١].

*****

(١) بعض العرب لا يهمز كلمة (شي) أحياناً (لسان العرب لابن منظور – شيا).



توضيح وبيان

يا ابن آدم أنت بين حَبيبٍ وبَغِيضٍ.

فحبيبك هو الله تعالى، ومبغضك هو الشيطان الرجيم، فكيف يليق بك أن تترك محبّك وتبتعد عنه، وتذهب إلى مبغضك وتقْرُب منه؟

*****

حكمة

الاعتدال في المدح فتح.

*****

شرط وجواب

النصر بالنصر[١].

*****

تنبيه

ليس كل أبيض مرغوباً[٢].

*****

---

(١) هو من باب قول الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

(٢) مثل بياض الشعر وبياض البرص وغيرهما.



حكمة

إذا كان مَنْ يُهِمُّهُ الأمر لا يهتم بالأمر، فأين نجد مَنْ يُهِمُّهُ الأمر.

*****

الخير والشرّ

كان الناس قديماً، وعندما كان الخير فيهم كثيراً – ولا يزال الخير في أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة ولله الحمد – كان معظمهم خَيِّراً، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، فكان يفرح أشد الفرح عندما يقدّم لأخيه منفعة ومساعدة، أو يُسْدي إليه معروفاً، فيذهب إلى بيته فرحاً مسروراً بما عمل مع أخيه المسلم، وينام قرير العين، فهذا ساعده في قضاء دينه، وأعطى هذا مبلغاً من المال سُلْفةً وقرضاً حسناً، وشفع لأخيه عند موظفٍ كبيرٍ فيسَّرَ أمره، وهذا كَفَلَ أيتاماً، وهذا ستر على غيره في أمرٍ من الأمور، وهذا، وهذا، فكانوا كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً، وكان أكثرهم في عون إخوانه المسلمين يقدّم لهم ما يستطيع من مساعدة وبرٍّ، متمثلاً قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»[1] أمّا اليوم فللأسف بعض الناس –وهم قلّة ولله الحمد–، يفرح ويغتبط، ويشعر بالراحة النفسية عندما يوقع أخاه المسلم في مهلكة، أو يحفر له حفرةً ليقع فيها، كأنه خُلِقَ للشرّ فقط، ولأذى غيره، وبعضهم يستغلُّ مركزه الاجتماعي، ووظيفته،

(١) مسلم (٢١٩٩).

فيتسلط على غيره من المسلمين بشتى أنواع التسلّط والأذى، فهذا يحسده على ما آتاه الله تعالى من فضله، ويسعى جاهداً لإزالة النعمة عنه، وآخر يمنع رفده وفضله عن إخوته المسلمين، وثالثٌ يسعى جاهداً للتحريش على أخيه المسلم عند رئيسه أو عند مديره، ولا يرتاح حتى يفصله من العمل، وآخر ليس له همٌّ إلا تكذيب أخيه، فكلّ ما قال قصة مثلاً كذَّبه، وكلّما أورد خبراً رَدَّهُ عليه، وكلّما قال شيئاً قال: تأكّد منه، فلعلّ الأمر غير هذا، ولعلّك لم تتأكد من نقل الخبر صحيحاً، وهكذا، فشتّان ما بين الفريقين، فريقٌ يسعى لِيعتق نفسه، وفريق يسعى لِيُوبقَ نفسه، وهما كما قال ﷺ: «... كل الناس يغدو، فبايعٌ نفسه، فمعتقها أو موبقها»[١]. وكما قال الشاعر:

لشَتَّان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغـرابن حـاتم[٢]

*****

حكمة

السين وسوف من الله تعالى محقَّقة.

ومِن العبد مطلقة.

*****

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) البيت لربيعة بن ثابت.



قِفْ

لا تؤذِ الأمّة بالطّعن في الأئمّة.

*****

فائدة

الحرْبُ والسِّلْم نتاجُ الجهلِ والعِلْم.

*****

حكمة

احذر الضَّيَاع مِنْ كثرة الضِّياع.

*****

عجيب وغريب

لعلك تعجب من بعض الناس يكون أميناً ومسؤولاً مثلاً في مكتبة عامة، أو مكتبة خاصة مُعدّة للبيع والشراء، أو رجلاً لديه مكتبة خاصة به في بيته، ويمكث مثل هؤلاء الأشخاص والأوقات الطويلة في المكتبة، وحواليه أنواع الكتب مثل: القرآن الكريم وتفسيره والحديث النبوي الشريف بأنواعه وأنواع علومه، وعدد الأحديث التي قد تصل إلى مئات الآلاف، وحواليه أيضاً الكتب الأدبية العديدة بشتَّى أنواعها، والأشعار بجميع مواضيعها وبحورها وأغراضها، وكتب القصص على اختلاف أنواعها وغير ذلك من الكتب

الحافلة بالآداب وهو يطالع ويقرأ في هذه المكتبة يقرأ كتب التفسير، وفيها آيات كثيرة تحثُّ على حسن الخلق، ويقرأ أيضاً كتب الحديث والتي تحث وتدعو إلى الخلق الحسن، وكذلك كتب الأدب والتي فيها قصص الناس، عرباً وعجماً، والتي تروي أخبار بعض ذوي الأخلاق الحسنة، والمروءات وأهل الفضائل في الجاهلية والإسلام، وكذلك يطالع الأشعار العربية في الجاهلية والإسلام الزاخرة بأخبار ذوي الأخلاق الحسنة والآداب العالية، فهذه المكتبات فيها آلاف الكتب والتي تتحدث عن الأخلاق الحسنة. وبعض هؤلاء الأشخاص قد طالت ملازمته لهذه المكتبة، فهو قد يعمل فيها أكثر من ثلاثين أو أربعين سنة ومع هذا تجد أخلاقه سيئة، وصدره ضيّقاً، ومعاملته للناس سيّئةً جدًّا، لا تستطيع أن تأخذ أو تُعطي معه، ولا تستطيع أن تمازحه أو تداعبه، ولا تستطيع أن تراجع معه بعض الكلام، فماذا استفاد مثل هؤلاء الناس من هذه الذخيرة العلمية والأدبية؟ وهل تغيّر حاله إلى الأحسن أو حسن خُلُقه وهو محاط بمثل هذه الكتب الثمينة؟!

*****

وصيّة

ابتعد عن مواطن الريبة، حتى لا توقع غيرك في الغيبة.

*****

نصيحة

سَالِمْ تَسْلَمْ.

*****

حكمة

لا تساوي السفيه في المساوي.

*****

خاطرة

إذا قَلَّ رِزْقُك.

وقَبُحَ خَلْقُك.

فحَسِّنْ خُلُقَك.

*****

حكمة

الصَّمْتُ حُلو.

والكلام كالدّلو.

مليء بماء أحياناً.

وأحياناً فارغٌ خَلْو.

*****

حقيقة

ربّ ممنوع خَيرٌ مِنْ ممنوح.

*****

فائدة

مِنْ ثمرات كلمة التوحيد، توحيد الكلمة.

*****

حكمة

لكل شيءٍ عنوان، وعنوان العقل اللسان.

ولكل قفل مفتاح، ومفتاح القلب اللسان.

*****

الطاعة والمعصية

الطاعة: سعةٌ وفرحٌ وانطلاقْ.

والمعصية: ذُلٌّ وقَيْدٌ وخناقْ.

*****



الدفاع عن الإسلام

لكل أُمَّةٍ من الأمم دينٌ تدين به، وتدافع عنه، ومذهبٌ تعتنقه وتنافح عن مبادئه، لكي يبقى، لأنها ترى أن بقاءها مرهونٌ ببقاء دينها ومذهبها هذا، وتعتبر أن ذهابها واضمحلالها مع ذهابه، فمثلاً:

الأمّة اليهودية: تدين بدين اليهودية – وهو محرّف كل التحريف – وتدافع عنه بكل ما تملك من قوة، وتقاتل دونه، لأنها ترى أن بقاءها في بقاء هذا الدين اليهودي المحرّف، ومتى ذهب أو ضعف حسب زعمها، فإنها تضعف وتذهب تبعاً له، وتوجد دُوَلٌ وأممٌ وشعوب يقاتلون دونه، فهذه أمريكا وهذه بريطانيا، وهذه دولة إسرائيل، وغيرهم يقاتلون دون هذا الدين اليهودي المحرّف وتناضل دونه، وتقدّم كل شيءٍ لبقائه.

والأمة النّصرانيّة: كذلك تدين بالدين النصراني المسيحي المحرّف وتنافح دونه، بل تقاتل وتُزْهق الأرواح لبقائه، وانتشاره في جميع بقاع الأرض، وتثبيته في نفوس معتنقيه، فهذه أوروبا وعلى رأسها فرنسا وروما والفاتيكان تدفع كل ما تملك من أموال وأنفس لبقائه، وما فعلهم في تيمور في أندونيسيا، وفعلهم في جنوب السودان علينا ببعيد.

والروافض: يعملون ليل نهار، ظاهراً وباطناً، علانية وسِرًّا على نشر الدين الرافضي والمذهب الشيعي في جميع أنحاء العالم، وسخروا جميع ما يملكون من



طاقات بشرية، وأموال لا حصر لها لبقاء مذهبهم ودينهم هذا، والاستماتة في نشره في جميع بقاع الأرض، وقد نجحوا في بعض أماكن الأرض مثل أندونيسيا وبعض دول أفريقيا وغيرها، وتعتبر دولة إيران هي المتزعمة للدفاع عن الروافض، وتسعى جاهدة وبكلّ ما تملك من قوة بشرية ونوويّة للحفاظ على هذا الدين، وبقاء هذا المذهب.

والأمة الشيوعيّة: كذلك لا تقلّ عن غيرها في الدفاع عن هذا الدين والمذهب الشيوعي الكافر الذي ينكر وجود لله ويقولون إن الطبيعة هي التي أوجدت نفسها بنفسها فلا إله في الكون وليس بعد هذا الكفر من كفر، ومع سخافة هذا القول، ومع هذه الفِرية العظيمة، فإن معتنقي هذا الدين الملحد والذي لم يقل به أحدٌ قبلهم مع هذا كله فإنهم يدافعون وينافحون عنه، ويحاولون أن يسيطر وينتشر في جميع بقاع الأرض، وها هي روسيا والصين وهما من الدول الكبرى والعظمى تتزعّمان الدفاع عن هذا الدين الشيوعي الذي لا أصل له.

وكذلك السيخ والهندوس: ينافحون عن دينهم الشركي ومذهبهم الوثني بكل ما أوتوا من قوة وطاقة بشرية وعسكرية والويل كل الويل لمن يتعرض (للبقرة) بسوء، وها هي دولة الهندوهي من الدول الكبرى في المساحة وعدد



السكان، وتعدّ من الدول العظمى في السلاح، فهي تعدُّ من الدول النوويّة القوية، ما زالت تنافح وتدافع بل تقاتل دون هذا الدين الإلحادي الوثني.

فعلى الأمة الإسلامية أن تدافع عن دينها الإسلامي، وهو الدين الإسلامي الحق، الذي لم يحرف ولم يبدّل ولله الحمد، عليها أن تدافع عنه وتنافح دونه، هذا الدين الإسلامي الذي أنقذ البشرية، وأخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، وهو الدين الحق الوحيد الذي سينقذهم فيما بقي إن شاء الله، وفي هذا الدين الإسلامي الحق: النور والخير والسعادة الأبدية لكل من اعتنقه، والذي يصل بأهله إلى الرقي والبقاء الأبدي والنعيم المقيم، فالدفاع عنه، ونشره، وتعليم العالم بمحاسنه وشرائعه كل هذا يقع على عاتق المسلمين.

*****

القراصنة

كما يوجد قراصنة في البحر، فكذلك يوجد قراصنة في البر فاحذرهم.

*****

تعريف البلاغة

قُلْتُ[1]:

البلاغة هي إدخال المعنى في المبنى، وخلط المبنى بالمعنى، ومزجهما ببعضهما، والخروج بكلامٍ مفيدٍ فيه إيجاز وَتَرْك الطويل النشاز.

---

(١) القائل: هو المؤلف.

وقلت أيضاً:

البلاغة هي الوصول إلى العقل بأقصر طريق، بكلامٍ جزلٍ مفيدٍ وقصير.

*****

حكمة

ليت ولعلَّ وعَسَى تؤخّرك وتجعل أمورك في نَسَاء.

*****

الصعود والنزول

القلب قلبان:

قَلْبٌ صاعدٌ: وهو ما كان متعلقاً بالله تعالى، وبالملكوت الأعلى، وبما فيه، فهذا قَلْبٌ صقيلٌ ونقيٌّ وروحانيٌّ، فكل ما يَرِدُ إليه، ويصْدرُ عنه شفَّافٌ وسماويٌّ.

وقلْبٌ نازلٌ: وهو ما كان متعلقاً بالأرض والملكوت السفلي فهو قَلْبٌ ضعيفٌ وضيّقٌ، وكل ما يَرِدُ إليه ويصدر عنه أرضي وترابي.

*****

العاقل والجاهل

مِنْ رجاحة العقل أن تتحرك الجوارح والأعضاء بعد العقل.

ومِنْ الحُمْقِ أن تتحرك الجوارع والأعضاء قبل العقل.

*****



سِعَةُ الدنيا

الدنيا واسعة فلا تُضَيِّقْها بنظراتك وتخيّلاتك وتصوّراتك.

*****

العجز عن بلوغ الكمال

إذا طلبت الاستقامة من كل إنسان في كل شيءٍ، فسوف تتبرأُ من كل إنسان بل ومن نفسك.

*****

حكمة

رُبَّ مستيقظٍ وهو نائم.

وَرُبَّ نائمٍ وهو مستيقظ.

*****

خاطرة

لو عَلِمَ العصفورُ أنّ وراءه موتاً ما صدح على الغصن، وما شقشق في الصباح، ولا شدى بصوتٍ على فنٍ.

ولو عَلِمَ الطفلُ أن وراءه موتاً وقبراً لما لَعِبَ ولا مرح في حديقة بيته، ولما ضحك في حضن أمّه.

ولو عَلِمَت الأزهار أن وراءها يبساً وجفافاً لما تفتّحتْ من أكمامها، ولا تَمَايَلتْ مع الشمس، ولما استقبلت النّدى والطَّلّ على أوراقها.

ولو عَلِمَت الأشجار أن وراءها يبساً واجتثاثاً لما تمايلت مع الريح، ولا اخضرَّ عودها وورقها، ولا شمخ ساقها صاعداً إلى الأعلى.

ولو عَلِمَ الكافر أن وراءه بعد الموت عذاباً وحساباً وأهوالاً لما فرح بالحياة، ولا تَلَذَّذ بالعيش فيها، ولا هنئ بشيءٍ فيها.

ولقد عَلِمَ المسلم كلَّ هذا، فهل استَعَدَّ لهذا؟

*****

مساءلة خفيفة

كيف تتجنّب ما لا تطيق، وتفعل ما لا يليق؟

*****

حكمة

مَنْ أراد الفضائل فَلْيُنَاضِل.

*****

متناقضات مشاهدة

شهادات عالية، وأخلاق واهية، في أجسام خاوية!!

*****

عبادلة الإسلام

كانــت عبادلــة الإســلام أربعــة　　　كانوا جميعاً بعلياء الـدّجى قمـرا

ابن الزبير ابن عباسٍ قـد ائتلقـا　　　كذا ابن عَمْرٍ شموخاً وابْنُمُ عُمَرَا[(١)]

*****

خاطرة

مَالُ الإنسان كاليد العليا، وَمَالُ الورثة كاليد السُّفْلى، فإذا أنفق الإنسان مِنْ ماله في حياته، فكأنه يأكل بيدٍ عُلْيا، وأمّا مَنْ كان يريد أن ينفق عليه ورثته، فهو كالمتَسَوِّل، قليلٌ مَنْ يُعْطيه، وإن أُعْطِيَ فَقَلِيلٌ ما يُعْطى.

*****

تـأمَّل ولاحظ

العابد= ١ × ١

العالم= ٢ × ١

فالعابد نفعه مقتصرٌ عليه، وثمرة عمله له فقط لا يتعدّاه وأمّا العالم فنفعه مُتَعَدٍّ لغيره، فهو ينفع نفسه وغيره من المسلمين.

*****

(١) للمؤلف.

شِعْر مناجاة مع الله تعالى

لبَّى الملبُّون عند المُلْتَقى وأنا لبَّيْتُهُ بدموعٍ جَمَّةٍ حرَّا[(١)]

ففي المناجاة نجاة.

*****

فائدة نادرة

تأمّل هذا الحديث الشريف:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صَلُّوا عليَّ، فإنه من صلَّى عليَّ صلاةً صَلَّى اللهُ عليه بها عشراً، ثم سَلُوا اللهَ لي الوسيلة، فإنها مَنْزِلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فَمَنْ سأل لي الوسيلة حَلَّتْ له الشفاعة»[(٢)].

في هذا الحديث الشريف يذكر عليه الصلاة والسلام أن مَنْ قال مثل ما يقول المؤذن، ثم صلّى على النبي ﷺ، ثم سأل له الوسيلة فإنه تحلُّ له الشفاعة من النبي ﷺ يوم القيامة، ففي هذا سرٌّ لطيفٌ وخفيٌّ. فلك الآن أن تتصوّر كم عدد مَنْ قال ويقول هذا من المسلمين، منذ أن قال النبي ﷺ هذا الحديث بين

---

(١) للمؤلف.

(٢) مسلم (٣٨٤).



أصحابه ﵃ إلى أن تقوم الساعة؟ كم يكون العدد؟ إنه لا عدد له، أي كم مسلمٍ سوف يشفع له النبي ﷺ يوم القيامة؟ إنه عددٌ لا يُحْصَى من المسلمين، وسوف يظهر لك في هذا الحديث سرٌّ لطيفٌ وخفيٌّ وهو مدى محبته ﷺ لأمّته، وإنه عمل جهده في إنقاذ أمّته كُلّهم من النار بشفاعته لهم، يوم القيامة، فكُلُّنا خطَّاؤون ومذنبون.

فكم مِنْ هؤلاء المسلمين الذين لا يحصى عددهم – ونحن منهم – والذين يُرَدِّدُونَ وراء المؤذن، ويسألون للنبي ﷺ الوسيلة كم فيهم مثلاً من أهل الكبائر؟ فيشفع فيهم ﷺ.

وكم فيهم من استحقّ النار، فيشفع فيهم ويخرجهم منها بشفاعته ﷺ.

وكم فيهم مَنْ دخل الجنة برحمة الله تعالى، ولكنّه بطَّأَ به عمله فأصبح في ربض الجنة، فيشفع فيه ﷺ، ويرفع درجاته إلى درجات أعلَى في الجنة.

فانظر إلى هذا الخير العظيم، الذي جاء مِنْ عملٍ يسيرٍ. وانظر إلى بركة هذا النبي ﷺ للناس عامة، وللمسلمين خاصة، وانظر إلى رحمة الله تعالى لهذه الأمّة المرحومة التي جعلها كلها في الجنة، فعن ابن عمر ﵄، أن النبي ﷺ قال: «ما من أمة إلا وبعضها في النار، وبعضها في الجنة، إلا أمّتي فإنها كلها في الجنة»[1].

*****

(١) المعجم الصغير للطبراني (٦٤٧) وصحّحه الشيخ الألباني.

حكمة

إذا أَحْسَسْتَ بالفَوْر[١] فلا تخاصم أحداً على الفَوْر[٢].

*****

الغِنى الحقيقي والفقر الحقيقي

كم من غنيٍّ في الدنيا فقير في الآخرة.

وكم من فقيرٍ في الدنيا غنيّ في الآخرة.

*****

ضعف الإنسان وافتقاره إلى إله

إن مَنْ يلاحظ الإنسان وتكوين جسمه، يعلم أنه خَلْقٌ ضعيفٌ وغير متماسك، وَهَشٌّ من الداخل ومن الخارج، فهو دائماً في حاجةٍ إلى مَنْ يسانده ويقف معه إلى الأبد، وإنه إن يُتْرَكْ لا يُرْشِد نفسه، بل يوبقها ويهلكها، لأن جسمه ضعيف، وعقله قاصر، وعندما خلق الله تعالى الإنسان، وعَلِمَ ضعفه وهشاشته وأنه مخلوقٌ غير متماسك، رحمه ربّه جل وعلا، فأرسل له الرسل

---

(١) الفَوْر: شدة الغضب والحرارة التي تنبعث من الداخل جرَّاء هذا الغضب.

(٢) الفَوْر: المقصود به هنا مباشرة وبسرعة، أي لا تخاصم أحداً مباشرة ولا تتسرع في ذلك إذا شعرت بالغضب الشديد لأنك لا تملك لسانك.



لتنقذه من أعدائه المتربصين به، ولتعرّفه بخالقه ومُوجِدِهِ ومبدعه، ومِنْ ثَمَّ ينقذونه من النار، ولما كان الخَلْقُ في بدايته كانوا على الفطرة، والدين الإسلامي، فلمَّا مات آدم عليه السلام وكثُرتْ ذريته مِنْ بعده، أضلتهم الشياطين، واجتالهم عن دين الله الحقّ، ووجدوا أنفسهم ضعفاء متهالكين، ولا بدّ لهم من يساندهم ويعينهم عندما يلجؤون إليه ويحتاجونه في قضاء حوائجهم، فمنهم مَنْ يريد الغِنَى، ومنهم مَنْ يريد الصحّة والعافية، ومنهم مَنْ يريد النصر على أعدائه، وغير ذلك من الحاجات التي يحتاجها هذا الإنسان الضعيف، فلما طالت المُدَّة بينهم وبين موت آدم عليه السلام، ولعِبتْ بهم الشياطين، وانقطعت علاقتهم بالله تعالى، إذ لم يوجد في الأرض مَنْ يذكّرهم بالله إلا القليل، اتخذوا أصناماً يعبدونها مِنْ دون الله ظنًّا منهم أن الإله لا بدّ أن يكون أمامهم وبقربهم ليعجّل لهم الفرج عندما يدعونه، وهكذا جاءت أجيالٌ وأجيالٌ لا تعرف إلا الأصنام وعبادتها مِنْ دون الله تعالى مع وجود القليل القليل المَوَحِّدين، فأرسل الله جل وعلا نوحاً عليه السلام ليجدِّد لهم الدين، وليفردوا الله تعالى بالعبادة، وَيُتْرَك الشرك به، وعبادة الأصنام، فآمن به قليل، وأغرق الله تعالى الباقين، ثم استمر الناس بعده على عبادة الله وحده، فلمَّا طالت المدّة أحسَّ الإنسان أنه ضعيف، وأنه لا بدّ له مِنْ إلهٍ يعبده حتى ينصره ويعينه، ويقف إلى جانبه، ويقوي ضعفه، فلمّا كانت العلاقة قد انقطعت منهم وممّن قبلهم بالله تعالى، اجتالتهم الشياطين

مرةً أخرى، وزيّنت لهم الشرك بالله، وعبادة الأوثان والأصنام مِن دون الله تعالى، وأوحت إليهم أنّكم ضعفاء ولا بدّ لكم من إلهٍ قريبٍ، ترونه أمامكم، وتذهبون إليه ليقضي لكم حاجاتكم عندما تدعونه، ولا شيء أقرب لناظركم مِمَّا ترونه في الأرض من أشجارٍ وأحجارٍ وحيوانات ونجوم، فهذه الأشياء أقرب شيءٍ لكم، وأسرع لنجدتكم وإغاثتكم فأنتم خَلْقٌ ضعيفٌ وهشٌّ وغير متماسك، محتاجون إلى آلهة تقف معكم وتنصركم، فعجَّت الأرض بالشركيّات والأصنام، وهكذا تعاقب الرسل وتتابعوا لإنقاذ البشرية من الشرك ومن النار، وهكذا الشياطين استمرت في الإغواء، واستمرَّ الصراع بين الحق والباطل – ولا يزال إلى قيام الساعة – حتى بعث الله تعالى نبيّنا محمد ﷺ، والأرض ملأى بالشرك وعبادة الأصنام والأوثان، فأنقذ الله تعالى به مَنْ أراد له الخير والسعادة، وبقي على شركه مَنْ أراد الله أن يضلّه. والآن انظر كم في الأرض مِنْ شرك؟ وكم فيها مِنْ أوثان؟ وكم فيها مَنْ يُعْبَدُ مِنْ دون الله سواء أكانت أحجاراً أم أشجاراً أم نجوماً أم شمساً أم قمراً أم بقراً أم وليّ؟ وانظر كم في الأرض مِن أضرحة يطاف حولها، وَيُذْبَح لها من دون الله تعالى؟ وكم فيها مِنْ وليٍّ يُقَدَّسُ ويُرْكَعُ له ويُسْجَدُ له من دون الله تبارك وتعالى؟

وهذا كلّه يدلّ على أمورٍ منها:



أولاً: أن الإنسان منذ خُلِقَ وهو ضعيف وغير متماسك وهو في حاجة ماسَّة ودائمة إلى إلهٍ ينصره ويعينه ويرشده ويقف معه ويحفظه من شرّ أعدائه.

ثانياً: أن الإنسان منذ أن خُلِقَ جاهلٌ ما لم يُعَلِّمه الله تعالى وضالٌ ما لم يهده ربه تبارك وتعالى، ومنقطع ما لم يصله الله جلّ وعلا.

ثالثاً: أن الله عزّ وجلّ أراد بأهل الأرض الخير والنجاة مِنْ عذابه ومِن النار، فأرسل لهم الرسل وأنزل معهم الكتب ودعوهم إلى عبادته، ولكن قُطَّاع الطرق مِنْ شياطين الإنس والجنّ حالوا بينهم وبين هدايتهم، فأوهموهم أنهم يريدون لهم الخير والسعادة والنجاة، بَيْنَ أنهم أرادوا لهم الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

رابعاً: أَنَّ الإنسان إذا اعتمد على نفسه أوعلى عقله، أو على قوّته أو على تدبيره فإنه لن يفلح أبداً، ولن يصل إلى الخير ولن يبلغه، ولكنه إذا اعتمد على خالقه جل جلاله واستعان به وَوَكَلَ كلّ أموره إليه فإنه في خيرٍ دائم، وسيرشده ربّه تعالى ويوصله إليه، وسيفوز برضاه في الدارين.

والخلاصة: أن الإنسان ضعيف وناقصٌ في كل شيءٍ منذ أن خُلِقَ، وقد أَحَسَّ الإنسان منذ أن وُجِدَ على وجه الأرض بهذا، فَالْتَفَتَ يمنةً ويسرةً إلى مَنْ يقف معه، ويكمل نقصه، أي لا بدّ له مِنْ إلهٍ يعبده لينصره، فهدى الله تعالى مَنْ يشاء مِنْ عباده إلى عبادته وحده لا شريك له، وأضلّ الله تعالى بِعَدْلِهِ مَنْ يشاء مِنْ

عباده، فاتّخذوا مِنْ دونه آلهةً مُتَعَدِّدَةً، فلا نُصِرُوا، ولا أُعِينُوا في الدنيا، ولا رَبِحُوا ولا فَازُوا في الآخرة، والله تعالى أعلم.

*****

مُلْحَة إخْوانيّة

قال أحد الإخوان: أريد أن أكون سيّداً، فماذا أفعل حتى أبلغ هذا؟

فقلتُ[١] له: إذا فعلتَ أوامر الله تعالى وقمتَ بها، واجتنبتَ نواهي الله تعالى وابتعدْتَ عنها، فأنت سيّد.

*****

حكمة

مولودٌ يولد وَهَمٌّ يوجد.

*****

فائدة

الأحمال النفسيّة أثقل على الجسم من الأحمال المادّيّة.

*****

تأمّل

الوعيد من الجبان بعيد.

والوعيد من الشجاع أكيد.

(١) القائل: هو المؤلف.



حكمة

تُهْمَةُ صاحبك فيك.

*****

المفروض والواقع

إن بين المفروض والواقع مسافات بعيدة، ومساحات كبيرة واسعة، ومفازات مخيفة، فلو باح الإنسان بأسرارها أو بعضها لَهَلَكَ في هذه المساحات الكبيرة، ولمات ظمأً في هذه الصحاري المقفرة ولَأُفْتُرِسَ في هذه المفازات المخيفة.

إنّ بين المفروض والواقع تفاوت كبير، ودرجاتٍ شتَّى، فترى المفروض كأنه ملفٌّ قديم، قد وُضِعَ على رفٍّ من خشب ثم نُسِيَ، فتراكم عليه التراب والغبار، وأحاط به من كل جانبٍ حتى أصبحت أوراقه صفراء ليس بينه وبين الاتلاف شيءٌ، بينما ترى الواقع قد وُضِعَ في أعلى الأماكن، وحُفِظ في أغلى الخزائن وأقواها، وأصبح يُتَرَدَّدُ عليه بين الفينة والفينة، كأنه وليد اليوم، وأصبح يتردَّدُ ويُذْكَر كثيراً على الألسنة، وأصبح حديث المجالس، قد أخذ الصدارة فيها، واستحوذ على حديث معظم الناس.

إنّ بين المفروض والواقع بَوْناً شاسعاً، حيث تجد أن المفروض قد هُجِرَ من أهله، وتنكَّر له ذووه، وأُهْمِلَ من متَّبعيه، وأصبح لا يُعْبَأُ به، إذا رأيته حسبته

رجلاً هَرِماً مريضاً، قد أُبْعِدَ عن مخالطة الناس، كأنه بعيرٌ أجرب، قد أُفْرِدَ عن جميع الإبل، بينما ترى الواقع شاباً نشيطاً حيويًّا متحركاً، كأنه في أعزّ شبابه وأوج أشدّه.

إنّ بين المفروض والواقع اختلافاً في الألوان، فإذا نظرت إلى المفروض، رأيته شجرة قد حَتَّ الخريف أوراقها، ونخر العطش جذعها، قد يبس فيها العود، واصفرَّ، وأصبحت هشيماً تذروها الرياح، فهي إلى اقتلاعها، واجتثاث جذورها، وَرَمْيها أقرب، بينما ترى الواقع عبارة عن وردة حمراء، تفتّحتْ في فصل الربيع، قد اخضرّ عودها، واهتزّ غصنها، وجرى ماء الحياة في عروقها، ودنا الناس منها، لجمال رؤيتها، وشذى ريحها، ولشمِّ عبقها، كأنها عروسٌ قد لبست زينتها، وبدت في جلوتها.

إنّ بين المفروض والواقع تناوشات خفيّة، واتهامات متداولة، فالواقع يتّهم المفروض أنه هو السَّبب في تأخره، ورجوعه إلى الوراء، وأنه غير متطوّر، وغير متجدّد، وأنه جامدٌ، يجب أن يُرْمَى به في قاع البحار، وأن يخرج بلا رجعة، وأن يُنْسَى فلا يُذْكر، وهكذا أَلَبَّ الواقع على المفروض الأعداء لِقِلَّةِ مناصري المفروض ولتخلّي أهله عنه، ولتصديق الناس ما قاله الواقع فيه، ولموافقة النفس لما يقوله الواقع، فأصبح المفروض مستكيناً حزيناً ينظر يَمْنَةً فلا أحد، وينظر يسرةً فلا أحد، وينظر أمامه فإذا الجموع المجمّعة مع الواقع لمناصرته.



فأين نجد الحكم العادل الذي لا يجوز في حكمه ليحكم بينهما، أَعْنِي يحكم بين المفروض والواقع؟

إنّ الناس بين المفروض والواقع كأناسٍ قد تعلّقوا بسببٍ في السماء، فمنهم مَنْ لم يحكم فتل الحبل فسقط مباشرة وسريعاً، ومنهم مَنْ ينظر إلى الأرض وإلى موقع سقوطه ففجأةً سقط دون أن يشعر، ومنم مَن استعدّ للسقوط وتهيّأ له، فهو يتحرّى الفرصة والوقت المناسب للسقوط لسيقط، ومنهم مَنْ قد أحكم العقدة وفَتْل الحبل جيدًّا، وبقي مكانه يقاوم ويصارع السقوط.

إن الناس بين المفروض والواقع، كأهل سفينة، فبينما هم في البحر، والسفينة تمخر عُباب البحر، والأمواج هادئة، فجأةً هبَّتْ عليهم ريح عاصف، وانقلب البحر كأنه رجلٌ صائل، فلا ترى إلا الأمواج كالجبال تموج بالسفينة في كل اتّجاه، فما لبثت أن تكسّرت وتحطّمت، ودخلها الماء، فهبّ مَنْ فيها، فمنهم مَنْ رَمَى بنفسه في البحر دون رويّة، وهو لا يحسن السباحة فغرق، ومنهم مَنْ يحسن السباحة ولكن الأمواج قويَّةٌ وعاتيةٌ، والبحر واسع، وجسمه ضعيف، فغرق كذلك.

ومنهم مَنْ أخذ لوحاً مِنْ ألواح السفينة، وامتطى صهوته ورمى بنفسه في البحر، وقد أخذ بالأسباب فلعلّ الله تعالى ينجيه.

ومنهم مَنْ بحث عن أدوات ووسائل السلامة في السفينة كالبالونات الهوائية وغيرها، فركب عليها، ونجى بعد لأْيٍ بإذن الله تعالى.

ومنهم كأَنَّ الأمر لا يهمّه ولا يعنيه، وكأنه لا يرى شيئاً، وكأنه ليس على مشارف الغرق والموت، فهو يرى السفينة المحطّمة، ويرى ما حَلّ به وبإخوته، فأخذ يبحث عن مكانٍ هادئٍ آمنٍ في السفينة المحطّمة لينام فيه، وأنَّى له ذلك، فلا أحد يعلم مصيره، فماذا يقال عنه؟

*****

حكمة

رَوِّضْ الجوارح على العمل الصالح.

*****

حقيقة ماثلة

متى وُجِدَ الإنسان في الأرض أحاطت به الأوامر والنواهي، فمن ينجو؟

*****

واحة الشّعر

يـا ويْلتَـى مـن سـينٍ، سـوف إذا لم أرى بي الخَـــوْفَ

فـنقص جسـمٍ وهـوى صـبابةٍ رحيلُ تـربٍ مبصـراً ضَـعْفَا[1]

*****

(١) للمؤلف.



النُّبْلُ والنُّبَلاء

النُّبل صفة عزيزة، وسجيّة نادرة، قلّما تجدها، لأنه يكون فيها تنازلٌ وبذلٌ وعطاءٌ من النّبيل إلى غيره، ولأنها تُنبئ عن معدن الرجل وأصله وكرمه، لذا تكاد تكون شبه معدومة، فلا يتّصِف بها إلا الكُمَّل من الرجال، وهم قليلون بالنسبة لغيرهم، فلا تجدها إلا في عظماء الرجال وأكملهم وأفضلهم، كالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فلا تجد نبيًّا ولا رسولاً إلا وهي فيه. فأنبياء الله عز وجل ورسله عليهم الصلاة والسلام لمّا كانوا أكمل الخلْق وأكرمهم وُجِدَتْ هذه الصفة الحميدة النادرة – أعني النّبْل – فيهم، فمثلاً: لما قال الله سبحانه وتعالى لنبيّه وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [طه] استبشر موسى عليه السلام وفرح فرحاً عظيماً أن جعله الله تعالى نبيًّا ورسولاً، فممّا قاله موسى عليه السلام لله تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ ﴾ [طه] ولا يخفى على أحدٍ أن درجة النبوّة والرسالة هي درجة لا تقارن بأي شيء من نعم الحياة، وهي شرفٌ لا يدانيه أي شرف، وكل إنسان يتمنى أن يخصّه الله تعالى بهذه الخصّيصة دون غيره ليرتقي إلى درجة الأنبياء والمرسلين، فيالها من مكرمة إلهية عظيمة لعبده، ويالها من شرفٍ في الدنيا والآخرة، ويالها من نعمة جسيمة لمن يختاره الله تعالى لها، فهي ليست نعمة من نعم الدنيا التي تنتهي بانقضاء الدنيا، وهي ليست

كذلك نعمة من نعم الله تعالى على عبده فتفضي به إلى الجنة، فهذه كلها نعمٌ عظيمة من الله تبارك وتعالى على عبده توجب الشكر منه لخالقه، ولكن نعمة النبوّة والرسالة من أعظم وأجلّ وأشرف النعم من الله تعالى لعبده، حيث تجعله يرتقي إلى مصافّ الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ومنزلتهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، فمَنْ منّا لا يتمناها لنفسه خاصة ولا يشرك أحداً معه فيها أبداً، فإنها والله لحظٌّ عظيم، ولكن الله تعالى كما قال: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ومع هذا كلّه انظر وتأمّل نُبْل نبي الله تعالى وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام فمع هذا الاجتباء والاصطفاء له من الله تعالى بكلامه ورسالته – وهذا شيءٌ عظيمٌ كُلٌّ يتمنّاه لنفسه خاصة ولا يحب أن يطّلع عليه أحدٌ من الناس – فمع هذه المنزلة العظيمة التي نالها موسى عليه السلام مِنْ ربه جلّ وعلا – وأيّ منزلة؟ – مع هذا كلّه لم يَنْسَ أخاه هارون عليه السلام، وإنما طَلَبَ من الله تبارك وتعالى أن يشركه في هذا الأمر العظيم، وفي هذا الاجتباء والاصطفاء الجسيم – ألا وهي: النبوّة – فقال: ﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ ﴾ [طه] فهنا يظهر النُّبْل وتظهر معادن الرجال النبلاء. والسؤال هو: الآن انقطعت النبوة، وخُتِمَت بسيد الأولين والآخرين نبيّنا محمد ﷺ، فلا نبي بعده، ولم يبقَ إلا النعم التي يُنْعم بها الله تعالى على عباده وكلّها دون الرسالة والنبوّة، فهل



الآن يشرك الإنسان أخاه في بعض النعم التي أنعم الله تعالى بها عليه ولو في نعمة واحدة هل يشركه معه فيها؟

ومن نبلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يوسف عليه الصلاة والسلام، فمع ما فعل به إخوته من كيدٍ، فلقد أخرجوه مِن بيته ومن عند والده يعقوب عليه الصلاة والسلام وذهبوا به إلى صحراء قاحلة لا أنيس بها ولا أحدٌ، ثم إنهم لم يكتفوا بذلك بل رموه في جبٍّ موحشٍ، ماؤه قليل، وسوامّه وهوامّه كثيرة، وذهبوا عنه وتركوه ثم إنه لمّا لم يأخذه الذي وجده، مِن حقدهم عليه باعوه، ولم يكن بيعهم له مربحاً، بل باعوه بثمنٍ، وهذا الثمن أيضاً كان دراهم قليلة معدودة، فكان البيع بخساً، ثم إنهم – أي إخوة يوسف عليه السلام – كانوا سبباً في حزن والدهم على يوسف عليه السلام، وكانوا سبباً كذلك في فقد أبيهم بصره، ثم كانوا سبباً كذلك أيضاً في ترك يعقوب عليه السلام لأرضه وذهابه إلى أرض جديدة لم يألفها، ولم يعش فيها من قبل، ثم كانوا كذلك سبباً في تعرّض يوسف عليه السلام للفتن – فتنة النساء وما أدراك ما فتنة النساء – فتعرّض لفتنة امرأة العزيز الذي هو في بيتها، ولكيد وفتنة نساء المدينة التي يعيش فيها، وكانوا كذلك سبباً في سجنه ولبثه فيه بضع سنين، فمع هذا كلّه وتشريده من أرضه، وتفريقهم بينه وبين أبيه، وتشريد أخيهم شقيق يوسف عليهما السلام وهو بنيامين، مع هذا كلّه انظر ما قال لهم عندما أمكنه الله تعالى منهم، وبماذا قابل إساءتهم له، لقد قال لهم ما

حكاه الله جل وعلا عنه: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف] فلم يذكّرهم بما فعلوه به، ولم يؤنّبهم، ولم يوبّخهم، ولم يجازهم على إساءتهم له بمثلها، بل عفى وصفح عنهم، ولم يكتف بهذا، بل هو عليه الصلاة والسلام يطلب من الله تعالى أن يغفر لهم ما فعلوه به، إنها أخلاق ونُبْل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهل لو أساء أحدٌ إلينا وأخطأ في حقِّنا، وظلمنا، هل نصفح عنه ونعفو عمّا فعل أم نجازيه بمثل ما فعل وأكثر؟

وانظر كذلك إلى نُبْل أنبل النّبلاء سيّد البشر وإمام المتقين، وذي الخُلُق الظيم ﷺ، انظر إلى ما فعل به قومه، وانظر بأيّ شيء قابلهم وجازاهم عندما أمكنه الله تعالى منهم يوم فتح مكة المكرمة.

لقد تآمرت قريش عليه ليقتلوه، فكانوا سبباً في خروجه من بيته وتركه لأولاده ولمكة مسقط رأسه التي يحبّها، وكانوا سبباً في خروجه من أُنْس الناس والمدن ومِن راحته في بيته الذي يأوي إليه ليستريح فيه، فأجبروه على أن يترك هذا كلّه ويخرج إلى الصحراء القاحلة المحرقة، وإلى الخلاء حيث الوحشة والبعد عن أُنْس الناس، ويأوي إلى غارٍ في رأس جبلٍ موحش، مظنة لمأوى الهوامّ والسّوامّ، غارٍ ضيّقٍ جداً لا يتسع لاثنين، أرضه حجر صلد، لا فراش ولا سرير، لقد أخرجوه من سطح الأرض السهل إلى صعود ومشقّة لأعلى الجبل، وكانوا سبباً كذلك في مكثه فيه ثلاثة أيام على شظف في الأكل والشرب

والنوم، ثم بعد ذلك يغادره مسافراً في الصحراء حيث الوحوش المفترسة وقطّاع الطرق، بل إن السفر في حدّ ذاته قطعة من العذاب، فوصل بعد جهدٍ جهيدٍ، وتعبٍ شديدٍ إلى المدينة، وترك أولاده وبيته وقرابته حيث فرّقوا بينه وبينهم، فمع هذا كلّه بل أكثر، لمّا أمكنه الله جل وعلا من قومه الذين فعلوا به الأفاعيل، وفتحت له مكة المكرمة أبوابها، ورجع إليهم منتصراً، رافع الرأس، لا يمنعه منهم أحد البتّة، ماذا قال لهم؟ وماذا فعل بهم؟

هل جازاهم على فعلهم فيه بمثله؟ هل انتقم منهم وأخذ بثأره منهم؟ - ولو فعل هذا كله ما كان ظالماً لهم – كلّا، بل قال لهم: «ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟» فهذا الأسلوب وهو البدء بالسؤال يدل على النُبْل، ومحبة العفو، ودماثة الأخلاق، لأن كل قائد إذا تمكّن مِمَّنْ يقاتله فإنه لا يسألهم بل ولا يمهلهم لحظة واحدة وإنما يسحقهم ويفنيهم ويقتلهم جميعاً، ولا يؤخرهم، بل في وقت المعركة يقضي عليهم جميعاً، ولكن النبلاء يختلفون عن هذا كله، فلما سمع كفّار قريش هذا الأسلوب الأبوي الحاني، طمعوا في العفو من النبي ﷺ فقالوا: أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريم، فقال عليه الصلاة والسلام: «اذهبوا، فأنتم الطلقاء»[1].

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان بذراريهم ونعمهم ومع النبي ﷺ عشرة آلاف، ومعه الطلقاء...) الحديث، أخرجه البخاري (٤٣٣٧) ومسلم (٢٤٣٨ – ١٣٥) واللفظ له.

وانظر إلى قول قريش للنبي ﷺ عندما قال لهم: «ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟» لم يقولوا له: افعل ما شئت فإنا قد فعلنا بك كذا وكذا، فنحن نستحق هذا. ولم يقولوا له: افعل ما شئت فإنا قد فعلنا بك مثله وأكثر قبل هذا. إنهم لم يقولوا شيئاً من هذا الأسلوب، ولكنهم لمّا كانوا يعرفون شفقة النبي ﷺ ورحمته بالناس أجمعين، ويعرفون أن الرَّحِمَ عنده بمكان، وأنه عليه الصلاة والسلام يهتمّ به، ويعتني به أشد العناية وأنه لا يتجاوزه إلى القسوة، ذكّروه به، وقد فعلوا هذا – أي تذكيره بالرحم – مِن قبل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز – يعني الوبر والدم – فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون][1]. فهم – كفار قريش – يعرفون من النبي ﷺ اهتمامه البالغ بالرحم، وأنه لا يتجاوزه أبداً ويتركه ويذهب إلى الانتقام، فلما عرفوا هذا منه ﷺ ذكروه به، لأنك لو تأمّلت قولهم: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، للحظت في ظاهرها وباطنها كلاماً خفيًّا قد طووه وأخفوه داخل هذه الكلمة، فكأنهم يقولون له: أنت ذو رحمٍ فينا، ونحن ذووا رحمٍ فيك، لأن الأخ وابن الأخ من أقرب الأرحام للإنسان، فلم يقولوا له: أنت ابن عمٍّ، أو

---

(١) صحيح ابن حبان (٩٦٧) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

أنت جارٌ لنا، أو أنت ابن قبيلتنا، وإنما اختاروا أقرب رحمٍ للإنسان وهو الأخ وابن الأخ، فقولهم هذ يحمل في طيّاته وفي داخله تذكيراً بالرحم من طريق غير مباشر.

فهل بعد هذا النُّبلِ نُبْلٌ؟ وهل بعد هذه المروءة مروءة؟

إنها لا شك أخلاق الأنبياء المصطفين من الناس، بل إن هذا هو نُبْل سيد الناس، سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ.

فهل لو أساء أحدٌ إلينا، أو أخطأ في حقِّنا، أو تجاوز الحدّ في ظلمنا هل نقتدي بقدوتنا وأسوتنا ﷺ؟ وهل نعفوا ونصفح ونغفر؟

*****

حكمة

اجعل طيرانك على قدر جناحيك.

*****

تأمّل

الألم في الجِلْد وليس من الإبرة.

*****

خاطرة

إن صاحب أيّ بيت يغضب إذا تناول ضيفه غير القِرَى الذي قدَّمه له، فإيّاك أن تتناول أيّ قِرَى غير الذي أُذِنَ لَكَ فيه من الله في بيته.

*****

نصيحة

اجعل علاقتك وتعاملك مع إخوانك وجيرانك كعلاقة المِرْود مع المكحلة دائماً متلازمَيْن، ولا تجعلها كعلاقة المطرقة مع المسمار دائماً متنافِرَيْن.

*****

فائدة

إذا أردتَ صفاء الأوراد، فعليك بالخلوة والانفراد.

*****

انتبه واعْلم

الشمسُ أقْربُ إليكَ مِمَّا في أيْدي الرِّجَال.

*****



حكمة

إن السَّبْقَ لأهْله يبقَى[١].

*****

حقيقة

ما قَلَّ غَلَا.

*****

حكمة

مَنْ عَقَل عَقَل[٢].

*****

خاطرة

الالتزام: هو تعلّق القلب بالله في كل شيء، ومراقبته في كل شيء.

وقفة

مَنْ لازم قرع أبواب الله تعالى، فُتِحَت له المغاليق.

*****

(١) سواء كان السبق في الخير أم في الشرّ فإن ذِكره يبقى لأهله.

(٢) أي من كمل عقله وأصبح عاقلاً عقل كلامه، أي ربط عقله بعقال، أي أنه لا يتكلم إلا بعد ما يفكّر (فعقل) الأولى من العقل وهو ضد الحمق، و (عقل) الثانية من العِقال والرّبط.

واحة الشعر

لــــو نقّلــتَ عينـــك ثانيــةً ستــرى عجبــاً (غرباً)(شرقَــا)

أحمـــقُ النــاس ذا جــدةٍ أعقل الناس فيها أقلّهُمُ رزقَا

لا حمـــقَ ولا عقـــلَ لكـــنْ قضــاء الله بهــم أضحى صــدقَا

خـــالقٌ عـــالمٌ بِيَكـــون ومــا لم يكـــن وأحـــاط بـــه حقّــا[1]

*****

نصيحة

أَبْعِد الجِرْم[2] عن الجُرْم[3].

*****

الهروب الحقّ

بعض الناس هدانا الله تعالى وإياهم، عندما يكون في متجره أو في سوقه، أو في أي مكان، إذا سمع المؤذن يؤذّن للصلاة، فإنه يهرب مسرعاً من الله تعالى، ويختفي عن أعين الناس، فنقول له:

---

(١) للمؤلف.

(٢) الجِرْم: أي الجسم.

(٣) الجُرْم: أي الجريمة والفحش والقبح والإجرام بشتى أنواعه.

١- إن هذا الذي تهرب منه من مكان إلى مكان قد أحاط بكل مكان، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال الله تعالى: ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ ﴾ [النساء: ١٠٨] وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ ﴾ [آل عمران].

٢- إن هذا الذي تهرب منه هو الله تعالى، الذي أوجدك من العدم وربّاك بهذه النعم التي أنت فيها، وهو السبب فيما عندك من تجارة ورصيد، وشركات ومؤسسات وعمائر ومزارع، وغير ذلك من نعم الله تعالى التي لا تعدّ ولا تُحصَى.

٣- إن هذا الذي تهرب منه أرحم بك من والدك ووالدتك والناس أجمعين، بل ومن نفسك التي بين جنبيك، وَأَحَنُّ وأشفق وألطف بك من الجميع.

٤- إن هذا الذي تهرب منه هو الذي تلجأُ إليه إذا مَسَّكَ الضُّرَّ فهل قلت يوماً من الأيام وأنت في ضُرٍّ: يا تجارتي أنقذيني؟ أو: يا متجري اشفني؟ أو: يا عمارتي ارفعي عني هذا الألم؟ أو: يا شركاتي اكشفنَ عني ما أنا فيه من ضرٍّ؟ هل قلت هذا يوماً من الأيام؟ لا، لأن هذا شركٌ أكبر، ولأنها لا تستطيع ذلك، وإنما تقول في كل ما يمسُّكَ من ضرٍّ: يا الله اكشف عني هذا الضرّ.

٥- إن هذا الذي تهرب منه لم يأمرك إلا بالقليل فقط، وترك لك الكثير الكثير لتتمتَّعَ به.

٦- إن هذا الذي تهرب منه هو الله تعالى، ولا بدّ لك من الرجوع إليه، ولقائك به، قال الله جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق].

٧- إن هذا الذي تهرب منه، كان الواجب عليك أن تهرب إليه، فَغَيِّر اتجاه هروبك، واجعله هروباً إلى الله تعالى بدلاً من الهروب منه.

*****

خاطرة

لَوْ كلّ مقترفٍ يعترف لاستراح القُضَاةُ والقضاء.

ولَوْ كلّ خفيٍّ يظهر لتعبَ القُضَاةُ والقضاء.

التوبة والاستغفار

كُنْ بالذَّنبْ مُقِرًّا.

ولا تكن عليه مُصِرًّا.

وَتُبْ توبةً حَرًّا.

*****

حكمة

يَأْسُكَ مِنَ الشَّيْءِ يُنْسِيكَهُ.

*****



فائدة

إذا علمت: أن الحياة تعب.

والموت وثب.

والقبر قَرُب.

فَخَلِّدْ لك: ذِكراً منقولاً.

وعملاً صالحاً مقبولاً.

*****

من مشاهد يوم القيامة

إن يوم القيامة يومٌ عظيم، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ ﴾ [الحج] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ﴾ [المزمل] وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨ ﴾ [غافر] فهذا اليوم وإن كان يوماً واحداً لكنّه يومٌ عظيم وشديد، وفيه من الأهوال والأمور العظام الشيء الكثير، وفي هذا اليوم تحدث مشاهدات وفعاليّات عظيمة وشديد وكثيرة، منها ما هو سهل ويسير وخير على المسلمين، ومنها ما هو عسير وشرٌّ وكربٌ على الكافرين، وما يحدث في هذا اليوم العظيم من مشاهدات، وأمور مختلفة ومتنوعة لهي كثيرة جداً منها:

١- اجتماع الناس كلهم، أوّلهم وآخرهم وحشرهم في صعيدٍ واحدٍ ذكرهم وأنثاهم، صغيرهم وكبيرهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم ليقضي الله تعالى بينهم، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف] ثم يصيرون فريقين، فريق هم أهل الجنة، وفريق هم أهل النار، قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى].

٢- ومِنْ مشاهد هذا اليوم: أن الناس كلّهم يُحشرون عراةً حفاةً غُرْلاً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً» قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة، الأمر أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض»(١).

٣- ومِنْ مشاهد هذا اليوم العظيم الكثيرة: أن الله عزّ وجلّ يكرم نبيّه محمداً ﷺ وأمّته بمكارم عظيمة ومتعدّدة، فنبيّنا ﷺ هو الذي يأذن له الله عزّ وجلّ فيسجد تحت العرش، ويسأل الله أن يحكم بين الناس، وأن يريحهم من هَوْل هذا اليوم وما فيه من كرب وشدّة، وأن يخلّصهم من حرارة الشمس، ومن

---

(١) البخاري (٦٥١٧) ومسلم (٢٨٥٩) واللفظ له.



العرق الذي أَلْجمهم، ففي حديث أبي هريرة ﵁ الطويل الذي رواه عن النبي ﷺ: «... فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحُسْنِ الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحدٍ قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سَلْ تُعْطَهْ، اشفع تُشَفَّعْ، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أُمَّتي، أمَّتي...» الحديث[1].

٤- ومِنْ مشاهد هذا اليوم، أنه يفتضح فيه أصناف من الناس، مثل أهل النفاق، وأهل الرياء والسمعة، فعن أسامة بن زيد ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب[2] بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحَى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما لك، ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهَى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»[3]. وعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أوّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجلٌ اسْتشهد، فَأُتي به فعرّفه نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلْتُ فيك حتى اسْتُشْهدتُ، قال: كَذَبْتَ، ولكنّك قاتلتَ لأن يقال

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) واللفظ له.

(٢) أقتاب: أمعاء.

(٣) البخاري (٣٢٦٧) ومسلم (٢٩٨٩) واللفظ له.

جريءٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِي في النار. ورجلٌ تَعَلَّم العِلْم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمتُ العلم وعلّمته وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبْتَ. ولكنك تعلّمتَ العلم ليقال عالمٌ، وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل: ثم أُمِرَ به فَسُحِب على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار. ورجلٌ وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كُلَّهُ، فَأُتِيَ به، فعرّفه نِعمه فَعَرَفها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحِبُّ أن يُنْفَقَ فيها إلا أنْفَقْتُ فيها لك، قال: كذبْتَ، ولكنك فعلتَ ليقال هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه، ثم أُلْقِيَ في النار»[1].

٥- ومِنْ مشاهد هذا اليوم، أن الناس كُلَّهم يكونون في وضع هروب فَالْكلُّ يهرب من الآخر، سواء مِنْ أبيه أو مِنْ أُمّه، أو من ابنه أو من أخيه، أو من زوجته، أو من عشيرته، فلا يلوي أحدٌ على أحدٍ، قال الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧ ﴾ [عبس].

---

(١) مسلم (١٩٠٥).



٦- ومن مشاهد هذا اليوم العظيم، أن هذه الأمّة المحمدية المباركة هي أوّل أمّة يُقْضى لها يوم القيامة، وهي أول أمّة تدخل الجنة، فعن أبي هريرة وحذيفة ﵄ قالا: قال رسول الله ﷺ: «أَضَلَّ الله عن الجمعة مَنْ كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تَبَعٌ لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضيُّ لهم قبل الخلائق» وفي رواية: «المقضيُّ بينهم»[(١)]. وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأوّلون يوم القيامة، ونحن أوّل مَنْ يدخل الجنة»[(٢)].

وعن ابن عباس ﵄، أن النبي ﷺ قال: «نحن آخر الأمم، وأوّل مَنْ يحاسب، يقال: أين الأمّة الأمّية ونبيها؟ فنحن الآخرون الأوّلون»[(٣)].

٧- ومِمَّا يحدث في هذا اليوم العظيم من مشاهد عظيمة أن الله تبارك وتعالى يُدخل سبعمائة ألف من المسلمين من هذه الأمّة الجنة بغير حساب ولا عذاب، فعن عمران ﵁ قال: قال نبيّ الله ﷺ: «يدخل الجنة من أُمَّتي

(١) مسلم (٨٥٦).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٩٧٧ – ٢٠).

(٣) ابن ماجه (٤٣٦٦) وصحّحه الشيخ الألباني.

سبعون ألفاً بغير حساب» قالوا: ومَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت منهم» قال: فقام رجلٌ فقال: يا نبيّ الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «سبقك بها عكاشة»[1].

٨- ومن مشاهد هذا اليوم العظيم، أنه يؤتى بالموت على صورة كبشٍ، أَمْلَحَ، فيُذبحُ بين الجنة والنار، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملحَ فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فَيَشْرَئِبُّونَ[2] وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلّهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فَيَشْرَئِبُّونَ وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكُلُّهم قد رآه. فَيُذْبَحُ ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت» ثم قرأ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [مريم][3].

٩- ومِنْ مشاهد هذا اليوم العظيم، وهي أعظمها عند أهل الجنة، وأَفْرَحُ شيءٍ لقلوبهم، تَجَلِّي الله تبارك وتعالى لأهل الجنة ورؤيتهم له، فما شيءٌ أعظم

(١) البخاري (٦٥٤٢) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٢١٨) واللفظ له.

(٢) يشرئبّون: يمدُّون أعناقهم.

(٣) البخاري (٤٧٣٠) واللفظ له ومسلم (٢٨٤٩).

عندهم من رؤية ربِّهم جلَّ جلالُه، فعن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أَحَبَّ إليهم من النظر إلى ربّهم عزَّ وجلَّ»(١).

*****

خاطرة

إذا كان للإقبال إدبار فلا تَيْأس.

فإن للإدبار إقبالاً كذلك أيضاً.

*****

وقفة

لا تعجب من اختلاف اليوم عن الأمس، فإن الظلَّ من الشمس، أي: لو لا وجود الشمس الحارَّة المحرقة المتوهِّجة مَا وُجِدَ الظلّ البارد المريح اللطيف المُرْتاد، ومعنى هذا أنه قد يأتي الخير من الشرّ، والصلاح من الفساد، والهدى من الضلال، والولد الصالح من الأب الطالح، وكذلك قد يتغيّر اليوم عن الأمس، فيفاجأ به الإنسان، فقد يكون يومه حسناً، فيفاجأ بغدٍ نَحِسٍ أو

---

(١) مسلم (١٨١).

العكس وهكذا، فكما وُجِدَ الاختلاف بين الأمس واليوم، وبين الشمس والظلّ، فكذلك يوجد الاختلاف بين النظيرين كالأب وابنه، والصديق وصديقه.

*****

حكمة

العملاق[١] لا يخشى الإملاق.

*****

إكرام الضّيف

إن إكرام الضيف يعتبر من مكارم الأخلاق، بل من أعلاها، وهو يدلُّ على كرم النفس ونُبْلها، وطِيب السَّجيَّة، ودماثة الأخلاق، والحبّ للآخرين، ويقال: إن أوّل مَنْ أكرم الضيف وضيَّفه هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الذاريات] وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «كان أوّل مَنْ ضيّف الضّيف إبراهيم عليه السلام»[٢] وكان نبينا محمد ﷺ أكرم الناس حتى

---

(١) أي العملاق في الأمور المعنوية كالجود والكرم والسخاء وحسن الظن بالله تعالى وليس المقصود به هنا الطول أوالعرض.

(٢) قِرَى الضيف لابن أبي الدنيا (٥) وصحّحه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٢٥).



إنه يكون في رمضان كالريح المرسلة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلةٍ في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة(١).

والكرم يعتبر من الصفات المحمودة والعالية عند العرب، وهو من أعلى مكارمها، فلقد كان العرب قبل الإسلام وهم في جاهلية جهلاء يضرب بهم المثل في إكرام الضيف، ويعدّونه سمةً وصفةً لهم لا تفارقهم، بل كانوا يعدّون الذي لا يكرم ضيفه ليس من العرب، بل ضُرِبَ ببعض العرب المثل في الكرم، فقالوا: أكرم من حاتم، وحاتم الطائي هذا كان قبل الإسلام، ومع هذا كان من أكرم العرب، ثم جاء الإسلام فأقرَّ وأمر بإكرام الضيف، وجعله من دلائل الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَقُلْ خيراً أو ليصمتْ»(٢).

ولقد كان العرب ينظرون لمن يكرم ضيفه نظرة إكبار وإعجاب وتقدير واحترام، ويمدحونه في مجالسهم وفي أشعارهم، كما إنهم ينظرون لمن لا يكرم

---

(١) البخاري (١٩٠٢) واللفظ له ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) البخاري (٦١٣٦) واللفظ له ومسلم (٤٧/ ١٧٢).

ضيفه نظرة استصغار واستحقار له، ولا يأبهون به، وكان العرب ولا يزالون يتفاخرون بإكرام الضيف، ويعدّونه من سجيتهم وأنه مِنْ ديدنهم، بل ولا يشعرون براحة واطمئنان إلا إذا أكرموا ضيفهم ومَنْ طرق بابهم وخاصة إذا كان البرد شديداً، وكان الطروق ليلاً، قال حاتم الطائي:

فأثقبتُ ناري ثم أبرزتُ ضَوْءَها وأخرجتُ كلبي وهو في البيت داخلهُ

فلما رآني كبّر الله وحده وبشّر جوفاً كان حماً بَلَابِلُه

فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً رَشَدْتَ ولم أقْعُدْ إليه أُسَائِلُه

فقمتُ إلى البرُك الهجان أُعِدُّها لوجبة حقٍّ نازلٍ أنا فاعِلُه

فَجَالَ قليلاً واتّقاني بخيره سناماً وأملاهُ من السَّبْي كاهِلُه

فَأَطْعَمْتُهُ من كبدِها وسنامها شواءً وَخَيرُ الخيرِ ما كان عاجِلُه[١]

ولقد كان العرب في الجاهلية والإسلام مع إكرامهم للضيوف كانوا على شظفٍ من العيش، وقِلّة في الموارد، وحاجة في صاحب المنزل، ومع هذا كانوا يقدّمون لضيوفهم كل ما يجدونه حتى ولو كان لهم خاصّة، فإنهم يبيتون طاوين، على ألّا يشعر ضيفهم بنقصٍ أو ببخلٍ، وقصة الأنصاري ﵁ خير شاهد على هذا، فعن أبي هريرة ﵁ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا

---

(١) قرى الضيف لابن أبي الدنيا (٤٠).



ماءٌ. ثم أرسل إلى أُخْرى، فقالت مثل ذلك، حتى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ، فقال: «مَنْ يُضِيفُ هذا الليلة، رَحِمَهُ الله» فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رَحْلِهِ، فقال لامرأته: هل عندكِ شيءٌ؟ قالت: لا، إلا قُوتُ صبياني، قال: فعلِّليهم بشيءٍ، فإذا دخل ضيفنا فأطْفئي السِّراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السِّرج حتى تُطْفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلمَّا أصبح غدا على النبي ﷺ، فقال: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما اللَّيلة»[(١)].

إن الكلام عن إكرام الضيف طويل، ويطول بنا الحديث عنه، ولكن للأسف الآن ومع سعة الأرزاق، ورغد العيش، وقِلَّة الضيوف، وعدم حاجة الضيف إلى أي شيءٍ من الأكل أو الشرب، مع هذا كلّه تجد بعض الناس يتهرّب مِن الضيوف، ويقدّم الأعذار والأيمان والحِيَل لكي يتخلّص من الضيوف، وأن لا يدخلوا عليه بيته، وإن كان الضيف الآن لا يباغتك بالزيارة، ولا يأتيك إلا عن موعدٍ مسبقٍ منك، في وقت تكون فيه غير مُنشغل بشيءٍ، ومع هذا كُلّه، فبعض الناس يتهرّب ويراوغ ويعتذر عن استقبال ضيفه حتى وإن كان الضيف لا يريد شيئاً من حطام الدنيا، وإنما زيارة قد تكون صلة للرّحم، وقد تكون للمودة والمحبة والألفة. فلا يقول قائل: إن وقتي ثمين، ولا أستطيع أن أُفرّط فيه، وهو أغلى ما أملك، وليس عندي وقتٌ لاستقبال أحد، وتضييع كذا من

---

(١) البخاري (٣٧٩٨) ومسلم (٢٠٥٤) واللفظ له.

الوقت، وكذا من الساعات مع هذا الضيف الآتي الذي قد يكون ليس عنده عملٌ أو شُغْلٌ أو أي شيءٍ يشغله، لا. لا يقول هذا، فإن الضيف إذا جاء في وقت مناسب للزيارة ومعروفة ومعتادة فإنّ له حقًّا على المضيف أن يستقبله ويرحّب به، فإن نبيّنا محمد ﷺ، وهو القدوة الحسنة لنا، وهو الذي ليس عنده وقت زائد ولا فراغ، بل كل وقته وحياته لله تعالى ومع الله تعالى،فإنه عليه الصلاة والسلام استقبل الضيوف ورحّب بهم، سواء في بيته أو في مسجده، فقد استقبل زيد بن ثابت رضي الله عنه في بيته وتسحَّر معه[١]، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ضِفْتُ النبي ﷺ ذات ليلةٍ، فأمر بجنبٍ فَشُويَ، وأخذ الشفرة فجعل يَحُزُّ لي بها منه، قال: فجاء بلال فآذنه بالصلاة، قال: فألقى الشفرةَ، وقال: «ما له؟ تربت يداه» وقام يصلِّي، وزاد في رواية: وكان شاربي وَفَى، فَقَصَّهُ لي على سواكٍ، أو قال: «أَقُصُّهُ لك على سواكٍ»[٢]. وَسَمَر ﷺ مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يَسْمُرُ مع أبي بكر في الأمر من أَمْرِ المسلمين وأنا معهما[٣]. واستقبل ﷺ وفد عبد القيس في المسجد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وَفْد عبد القيس أتوا النبي ﷺ فقال: «مَنِ الوفد – أو – مَنِ القوم؟» قالوا: ربيعة، فقال: «مرحباً بالقوم – أو: بالوفد – غير خزايا ولا

---

(١) البخاري (٥٧٦) ومسلم (١٠٩٧).

(٢) أبو داود (١٨٨) وصحّحه الشيخ الألباني.

(٣) الترمذي (١٦٩) وصحّحه الشيخ الألباني.



ندامَى» قالوا: إنا نأتيك من شُقَّةٍ بعيدةٍ، وبيننا وبينك هذا الحيُّ من كفار مُضَرَ، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهرٍ حرامٍ، فَمُرْنَا بأمرٍ نُخبر به مَنْ وراءنا ندخل به الجنة، فأمرهم بأربعٍ ونهاهم عن أربعٍ: أمرهم بالإيمان بالله عزّ وجلّ وحده، قال: «هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتُعْطُوا الخُمُسَ من المغنم» ونهاهم عن الدّباء والحنتم والمزَفَّت، قال شعبة[١]: رُبَّما قال: «النقير» ورُبَّما قال: «المقَيَّر» قال: «احفظوه وأخبروه مَنْ وراءكم»[٢] واستقبل ﷺ أُسَيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما ليلةً في بيته، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رجُلَيْنِ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلةٍ مظلمةٍ، وإذا نورٌ بين أيديهما حتى تَفَرَّقا فَتَفَرَّقَ النور معهما[٣]. وقال حمَّاد: أخبرنا ثابت عن أنسٍ: كان أسيد بن حضير وعبّاد بن بشرٍ عند النبي ﷺ[٤]. فقد كان ﷺ - وهو الذي لا ينقطع عمله في الليل ولا في النهار – كان يستقبل الضيوف بالبشر والترحيب، وطلاقة الوجه، وكان يجلس معهم ويؤانسهم عليه الصلاة والسلام.

---

(١) شعبة هو أحد رواة هذا الحديث الشريف.

(٢) البخاري (٨٧) واللفظ له ومسلم (١٧ – ١١٦).

(٣) البخاري (٣٨٠٥).

(٤) رواه البخاري معلقاً بعد الحديث (٣٨٠٥) مباشرة.

حكمة

الأكياس قليلون في الناس.

*****

خاطرة

لا تتعوَّذ مِنْ إبليس في الجَلْوَة.

وتطيعه في الخَلْوَة.

*****

العرب والإسلام

كان العرب قبل الإسلام أَمَّةً متفرّقةً، ومتنافرة فيما بينها، لا يجمعها مع بعضها شيءٌ، لا دين ولا قيادة، فمنهم مَنْ كان كافراً، ومنهم كان مشركاً يعبد الأصنام، ومنهم مَنْ كان على دين النصرانية، ومنهم مَنْ كان على دين اليهودية، كما كانوا متناصرين ومتفرقين، تسودهم الفوضى في حياتهم، والقتال المستمرّ فيما بينم، وكان بعضهم يوالي دولة فارس، وبعضهم مع دولة الروم، وكانت هاتان الدولتان تؤجج نار الفتنة والفرقة بين العرب، وتسعّر نار الحميّة والقتال بينهم، فكان العربي يقتل أخاه العربي بدون سبب إلا للحميّة والعنصرية الجاهلية، كما كان اليهود في المدينة يؤججون نار الفتنة والفرقة والقتال والشرّ بين الأوس والخزرج، كلما خبت زادوها سعيراً، واستمر هذا الأمر سنوات



طويلة، واستمر القتال معها كذلك، فكم سمعنا وقرأنا عن الحرب الطاحنة الشرسة بين قبيلة بكر وتغلب، والتي راح ضحيتها آلاف القتلى من العرب، والتي استمرت أربعين سنة تقريباً، وكم سمعنا وقرأنا عن (يوم بُعَاث) وهو يومٌ مشهورٌ ومشؤومٌ، وقع بين الأوس والخزرج، وراح ضحيته المئات من القتلى بين بني العمومة، وقد راح ضحية هذه الحروب الطاحنة، والكيد الخفي للعرب، الآلاف المؤلفة من القتلى، وبدون سبب مُجْدي لقيام ونشوب هذه الحروب بينهم، كما كانت كل قبيلة في ذلك الوقت لا تهتم إلا بأفراد قبيلتها، وبأرضها، وبِحِمَاهَا، وبمياهها، فمثلاً: هذه الأرض للقبيلة الفلانية، فالويل للقبيلة العربية الأخرى إن اقتربت من أرضها أو مرعاها، وهذا مثلاً: ماء بني فلان، فلا يستطيع أَحَدٌ من أي قبيلة أخرى أن يُورِدَ إبله أو غنمه ليسقيها من هذا الماء، وهكذا كانت كل قبيلة مهتمة بنفسها وبأرضها فقط، أمَّا ما يجاورها من القبائل العربية الأخرى، فلا علاقة بينهم إلا السَّيف، والتاريخ مليء بمثل هذه الأخبار، وفي المدينة فعل اليهود الأفاعيل بالعرب الذين فيها، حيث ساقوهم وقادوهم لحروب طاحنة بين القبيلتين العربيتين وهما: الأوس والخزرج، وهم أبناء عمومة، بل أبناء رجل واحد، فكانت العداوة بين هاتين القبيلتين مستحكمة لسنوات طويلة وهم يسكنون في أرضٍ واحدةٍ، وبيوتهم مجاورة لبعض، بل ملتصقة جدرانها مع بعضهم البعض، ولو بحثت عن

السبب المبرّر لهذه الحروب لما وجدته، وإنما هي أسباب واهية من كيد اليهود المجاورين لهم. فيكاد العربي أن يكون غريباً إذا ما انتقل من أرضه إلى أرض قبلية أخرى، بل وربّما يُقتل من رجال القبيلة الأخرى، ما لم يكن في الأشهر الحرم، مع العلم أن اللسان واحدٌ وهو اللسان العربي، والأرض واحدة، وهي الأرض العربية، ومعظمها في جزيرة العرب، ولا يكاد أحد يَعْبُرُ من أرضه إلى أرض قبيلة أخرى ما لم يكن له جوار من أحدٍ من الناس أو يكون حليفاً لبعض القبائل، لذا تجد أكثر سفرهم وتحركاتهم لا يكون إلا في الأشهر الحُرُم، فكانت حياتهم ضائعة، وحروبهم لا طائل منها ولا فائدة لها، وكانت القوى الكبرى في ذلك الوقت المتسلطة عليهم ينظرون للعرب بمنظار الاستحقار والعداوة، وأن العرب أمة أميّة ضعيفة لا تصلح للقيادة ولا للرياسة، وأنهم – أي العرب – عبارة عن بدوٍ رُحَّلٍ، أهل إبل وغنم ورعي، ليس لهم من الحضارة وقيادة الأمم نصيب، هكذا كانت نظرة دولة فارس والروم للعرب، وكذا كان اليهود في المدينة.

فلما أراد الله سبحانه وتعالى العزّة والرفعة والاستقلالية للعرب، بل للناس أجمعين بعث فيهم سيدنا ونبينا محمد ﷺ، قال عزّ وجلّ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران]



فكان عليه الصلاة والسلام من صميم العرب، وكان لسانه عربياً، وكتابه عربياً، قال جل جلاله: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء] وفي خلال أقل من ربع قرن وإذا بالعرب أمة واحدة مستقلة، متوحدة، فشوكتها قوية، وذكرها بين الدول عالٍ جداً، وإذا بها تتوحّد وتلتف حول قيادة واحدة، حول القائد الأعظم، قائد البشرية إلى كل خير، وهو سيدنا محمد ﷺ، وكذلك خلال نصف قرن من الزمان وإذا بها تسود على أرض فارس والروم، ولهذا لم يصدّقوا، بل تفاجؤوا أن العرب الذين كان بالأمس القريب متشتتين ومتفرقين، اليوم أصبحوا أمة واحدة تقود العالم كلّه بما فيه الفرس والروم، وهكذا كله بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا الإسلام المتكامل الذي جاء به سيد البشر ﷺ، ولأجل هذا كنَّتْ هاتين الدولتين – فارس والروم – الحقد والبغض للمسلمين عامّة وللعرب خاصّة، بعد أن رأوا حالهما الجديد، وما جاء القرن الثاني من بعثة نبينا محمد ﷺ إلا والمسلمين سادة الأرض كلها، حيث أوصلوا الإسلام لكل أقطار المعمورة، فصاروا ولله الحمد عبارة عن قبيلة واحدة، بعد أن كانوا قبائل متفرّقة متناحرة، وأصبحوا أمّة واحدةً، يجمعها دينٌ واحدٌ، وخليفةٌ واحد، وأصبحت الأرض عبارة عن أرض واحدة إسلامية، ليس هناك حدود بينهم، وانصهرت جميع القبائل بأراضيها ومياهها وحِمَاها إلى أرض

واحدة، وأصبحوا دعاةً لدين الله تعالى، ونشره بين الناس وتطبيقه في حياتهم، وأصبحوا قادة وقدوة للعالم بالقول والفعل.

واستمروا على ذلك متمسكين بدينهم، ناشرين له، في جميع أرجاء الأرض، إلى أن ضعفوا في دينهم، وابتعدوا عنه، وأبعدوه عن حياتهم العامّة والخاصّة، وأصبحوا لا يعرفون منه إلا اسمه، فبدأ شبح ما كانوا عليه قبل ظهور الإسلام يمشي إليهم رويداً رويداً، وهكذا إلى أن صاروا إلى ما هم عليه الآن، فأصبح حالهم الآن مثل حالهم قبل الإسلام، إلا أنهم مسلمون، يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أمّا بالنسبة لمكانتهم بين الدول، ونظرة العالم إليهم فهي نفس النظرة التي كانوا ينظرون بها إليهم قبل الإسلام، فأصبحت الأمة الإسلامية أمَّة متشتتة ومتفرقة، كما كانت قبل بزوغ نور الإسلام، فرجع المسلمون عامّة والعرب خاصّة إلى الضعف من جديد، والتشتت والفرقة والتناحر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلن يعود لهم مجدهم وعزّهم الذي أحرزوه ونالوه في صدر الإسلام، والقرنين من بعده إلا برجوعهم للإسلام، لأن الإسلام وحده فقط هو الذي وحّدهم وعزهم، وكان سبباً بعد الله تعالى في نصرهم على أعدائهم، وجعل لهم ذِكْراً قويًّا، ومكانة قوية بين الأمم، وجعلهم قادة للدنيا كلها، فلما ضعف الإسلام وانحسر من حياتهم كانت حالتهم قبل الإسلام وبعده الآن واحدة.



فبوجود الإسلام كانوا القادة للعالم كله، وبضعف الإسلام هم الآن وقبل بعثة نبينا محمد ﷺ ومجيئه بالإسلام سواء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران].

فلا عزّ للمسلمين عامّة والعرب خاصّة إلا بالرجوع للإسلام الذي جمعهم في أمة واحدة، وأنزلهم المنزلة الرفيعة بين الأمم، لأن حاضرهم الآن وحالتهم الآن هي نفس حالتهم ووضعهم قبل الإسلام، فلما تمسكوا به كانوا سادة وقادة للأرض كلها، ولمّا تخلّوا عنه رجعوا إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظلّ رمحي، وجُعِلَ الذلُّ والصغارُ على مَنْ خالف أمري، ومَنْ تشبَّه بقومٍ فهو منهم»[١].

وقال عمر رضي الله عنه: (إنا كنّا أذلّ قومٍ فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزّ بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله)[٢].

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: (ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به)[٣].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥٦٦٧) والجامع الصغير للسيوطي (٢٨٣١) وصحّحه الشيخ الألباني.

(٢) المستدرك للحاكم (٢٠٨) وصحّحه ووافقه الذهبي.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٤٧٨).



فإذا أراد المسلمون عامّة والعرب خاصّة أن ترجع لعم عزّتهم وقوّتهم ومكانتهم وقيادتهم، فليرجعوا إلى دينهم كما كانوا عليه في صدر الإسلام والقرون الثلاثة المفضّلة من بعده، وإن أَبَوْا فلينظروا في وضعهم وحالهم الآن بين الدّول والعالم كلّه، وليقارنوه مع ما كان عليه العرب قبل الإسلام، هل مِنْ فرق؟ والله تعالى أعلم.

*****

تنبيه

إذا تقدَّمَ الكُمَّل قادوا الجميع إلى الأمام.

وإذا تقدَّمَ الناقصون قادوا الجميع إلى الوراء.

*****

حكمة

الجَمَالُ راحة.

*****

الحبّ في الله

أُحِبُّـــكَ حُبًّـــا ولـــو أصـــفهْ   عَجـزتُ وأنـتَ لـه تعرفـهْ[1]

(١) البيت للمؤلف.

ثلاثة وثلاثه

قال سليمان بن مرزوق: مكتوبٌ في التوراة، ثلاثة أحياء أموات: رَجُلٌ عقيم، ورجلٌ أبرص، ورجلٌ افتقر بعد غِنَى[١].

فقلتُ[٢]: ويضاف لهم ثلاثةٌ آخرون:

١- رجلٌ عاطلٌ ليس له عمل يشغله أو يستفيد منه، فليله كنهاره، ويقظته كنومه، قال عمر ﵁: إني لأرى الرجل فيعجبني فأسأل: أله مهنة؟ فإن قيل: لا، سقط من عيني[٣].

٢- ورجلٌ ليس له هدفٌ معيّنٌ في هذه الحياة ينشده، فهو يعيش سبهللّا، ليس له نفسٌ طموحةٌ إلى العُلا، وليس عنده همّة عالية يريد الوصول إليها، قال عمر بن الخطاب ﵁ إني أكره الرجل أن أراه يمشي سبهللا، لا في أمر الدنيا، ولا في أمر الآخرة، وقال قطري بن الفجاءة:

وما للمرء خيرٌ في حياةٍ   إذا ما عُدَّ من سقط المتاعِ[٤]

٣- ورجلٌ كافرٌ بالله تعالى، ومشركٌ به، ومنكرٌ للبعث ولليوم الآخر، فهو يعيش في هذه الحياة كالأنعام، ليس له هدف ينشده في هذه الحياة، وليس له

---

(١) إصلاح المال لابن أبي الدنيا (باب الفقر – ٢).

(٢) القائل هو مؤلف هذا الكتاب.

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٢٠٢).

(٤) ديوان قطري بن الفجاءة (حياته وشعره للدكتور وليد قصاب).

أملٌ بعد موته، فأمله ينقضي وينتهي بمجرد انتقاله من هذه الحياة، قال الله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾ [الحجر] وقال جلّ جلاله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ۝١٢ ﴾ [محمد].

*****

حكمة

كثرة الدّيون تورد السجون.

*****

فائدة

أهل الجنة دائماً في حُبُور.

وأهل النار دائماً في ثبور.

وذلك إلى أبد الدهور.

*****

نصيحة

إذا كان بينك وبين أحدٍ من الناس خصومة، سواء كان قريباً لك، أو بعيداً منك، فلا تترك الحبل على غاربه، وإنما سارع للصلح، فإذا بدأت في الصلح،



فلا تتذكر سيئات هذا الشخص، وإنما تذكر محاسنه الماضية معك، فهذا أحرى للتقارب والصلح، فإن الشيطان يكون قريباً من المتخاصمين دائماً، وملازماً لهم، ودائماً يوسوس لهم، ويمدّهم بالأفكار التي تبعدهم عن بعضهم، ودائماً يذكّرهم بالمساوئ، ولا يذكّرهم بالمحاسن، لأنه يجري من بني آدم مجرى الدم، فمتى نفخ الشيطان في أحدهما وذكّره بالمساوئ، وحجب عنه المحاسن فليس ثمّتْ صلح، ويكون الشيطان في هذه الحالة منتفخاً، قد يَسُدُّ الأفق، ولكن متى كان الإنسان عاقلاً، وذكر محاسن أخيه المسلم المتخاصم معه وأبعد عن تفكيره وتصوراته وتخيلاته المساوئ، فإن الصلح سيتم بإذن الله تعالى، والشيطان سوف يصغر حتى يصبح كالذبابة. فإذا أردت الصلح بينك وبين غيرك فاذكر محاسنه ولا تذكر مساوئه، فالكمال لله تعالى وحده، وكلّ بني آدم خطاؤون، فإذا انتجعت هذا ونشدّته فسوف يتم الصلح بينكما إن شاء الله تعالى لا محالة. قال ﷺ: «لا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[١].

*****

حرّية الاختيار

الإنسان في هذه الدنيا يختار ما يشاء، فهو يختار مثلاً بيته، ويقول: أريده كذا وكذا، وفيه من المواصفات كذا وكذا، ولا أريد فيه كذا وكذا، كما أنه يختار شريكة حياته، فيقول: أريد زوجة كذا وكذا، وتتميّز بكذا وكذا، وأريد منها

---

(١) البخاري (٦٠٧٧) ومسلم (٢٥٦٠).



كذا وكذا ولا أحبّ أن يكون فيها كذا وكذا، كما أنه يختار مثلاً سيارته وأثاث منزله، فهو لا يختار إلا ما يريده، ويرتاح إليه، فكل ما نظر إلى شيءٍ من اختياراته هذه، لا ينكره ولا يتوحّش منه، ولا يسأم منه، لأنه هو الذي اختاره بنفسه، وارتاح إليه، فهو لا يريد أن يجتمع مع شيءٍ لا يحبّه، ولا يريد أن يعيش مع شيءٍ يكرهه، ولا يريد أن يبقى عنده شيءٌ يرفضه، ويكره رؤيته، واختياراته هذه كلها تتعلق بأمور الحياة والمعيشة، ومعظمها من الكماليات، فما دام الأمر كذلك، فأيضاً حريٌّ بالإنسان أن يختار ما يحبّه ويرتاح إليه، ويعود عليه بالنفع والعيش الهني، ويريد أن يجتمع معه في قبره، ما دام في الوقت متسع، وباب الاختيار مفتوح، ويمكنه أن يقدّم له من الآن، فكما أنه في الدنيا لا يمكن أن يختار ما يكرهه، ولا يختار ما لا يريد أن يجتمع به في بيته في الدنيا، فكذلك عليه أن يختار لسكنه الثاني ومنزله الآتي وهو القبر ما يحبّ أن يجتمع به، ويرتاح لرؤيته، ويؤنس وحشته، ويسعد وحدته هناك، لأن الإنسان متى ما انتقل من هذه الدار، لا يمكن له أن يختار شيئاً، لأنه تسحب منه صلاحية الاختيار، ويتوقف التقديم والإمداد، فلا يستطيع أن يقدّم شيئاً، أو أن يغيّر فيه شيئاً، أو أن يستبدل شيئاً مكان شيء آخر، فبمجرد دخوله بيته الثاني، ومسكنه الجديد يجد كل شيءٍ قد وُضِع مكانه، وليس له فيه اختيار الآن، بخلاف منزله الأول في الدنيا، فإنه وإن سكن فيه، ونزل به فإنه يملك حريّة التغيير والتبديل والإلغاء والإبعاد، وإن سكن وحلّ به، لكن هذا المنزل يختلف عن منزل الدنيا، فلا يستطيع من هذه الأمور شيئاً، فيجد نفسه فجأة أنه ضيفٌ في هذا المسكن، يأخذ مما فيه وقدّمه لنفسه، وفي نفس الوقت يجد نفسه أيضاً أنه صاحب

منزل، أي أنه في آنٍ واحد يكون ضيفاً ويكون رَبَّ منزلٍ، فالضيف ليس له شرط على صاحب الضيافة، وكذلك صاحب الضيافة لا يقدّم من القِرَى إلا ما يجده عنده وأمامه، إذ أنّ الاختيارات والحريات انتهت بمجرد انتقاله من المسكن الأول الذي فوق الأرض إلى مسكنه الثاني الذي تحت الأرض، والذي اختار تجهيزه ومَلْأَه وهو في دار الدنيا، فليحرص العاقل على أحسنِ الاختيار، وأفضل المحابّ للمنزل الثاني، حتى لا يساكنه فيه ما يكرهه وحتى لا يجتمع فيه مع من لا يحبّ رؤيته، وحتى لا يرى فيه ما يسوء ناظره، ولا يتوحّش من مجالسة ما لا يريده، كما فعل في منزله الأول سواء بسواء، والله الهادي إلى سواء السبيل.

*****

لا تحزن

لا تحزن أيها المؤمن.

فمع المرض المزمن[١]، الأجر المزمن.

*****

قال وقلت

عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مات يشرك بالله شيئاً دخل النار» **وقُلْتُ أنا**[٢]: ومَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة[٣].

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ز م ن).

(٢) القائل هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) البخاري (١٢٣٨) ومسلم (٩٢).

وعن سمرة بن جذب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الكلام إلى الله أربعٌ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لا يضرك بأيِهِنَّ بدأت» الحديث[١].

وقُلْتُ أنا[٢]: أربع كلمات: رطّب بِهِنَّ اللسان، وشنّف بهنَّ الآذان، واهدهُنَّ للإخوان: لا حول ولا قوة إلا بالله[٣]، وإنا لله وإنا إليه راجعون[٤]، وحسبنا الله ونِعْم الوكيل[٥]، ونستغفر الله العظيم ونتوب إليه[٦].

*****

حكمة

في المناجاة نجاة.

*****

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢١٣٧).

(٢) القائل هنا هو المؤلف.

(٣) لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة (البخاري ٤٢٠٥/ ومسلم: ٢٧٠٤).

(٤) تقال عند المصيبة (مسلم: ٩١٨).

(٥) البخاري (٤٥٦٣).

(٦) البخاري (٦٣٠٧).

نداء

يا مَنْ قطعْتَ حبلك من أهل السماء، ووصلته بأهل الأرض، لقد قطعْتَ حبلاً متيناً، وتمسَّكْتَ بحبل العنكبوت.

*****

آيات وأحاديث

تأمّل هذه الآيات العظيمات:

١- قول الله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنبياء].

٢- قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فاطر].

٣- قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر].

٤- قول الله جلّ وعلا: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ [طه].

وتأمّل هذه الأحاديث:

١- عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلق[١] أقتاب[٢] بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرَّحَى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك، ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى. قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»[٣].

٢- عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَأَعْلَمنَّ أقواماً مِنْ أمّتي يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثال جبال تهامة بيضاً، فيجعلها الله عزّ وجلّ هباءً مثوراً» قال ثوبان: يا رسول الله صِفْهُمْ لنا، جَلِّهِمْ لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «أَمَا إنهم إخوانكم ومِن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوامٌ إذا خَلَوْا بمحارم الله انتَهَكوها»[٤].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ عمرو بن لُحَيٍّ بن قمعة بن خندف، أبا بني كعبٍ هؤلاء، يَجرُّ قُصْبَهُ في النار»[٥].

---

(١) فتندلق: فتخرج من مكانها.

(٢) الأقتاب: هي الأمعاء والأقصاب واحدها قُصُب.

(٣) البخاري (٣٢٦٧) ومسلم (٢٩٨٩) واللفظ له.

(٤) ابن ماجه (٤٣٢١) وصحّحه الشيخ الألباني.

(٥) البخاري (٣٥٢١) ومسلم (٢٨٥٦) واللفظ له.



٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إِنَّ المفلس مِنْ أمّتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذف هذا، وأكل مَالَ هذا، وَسَفَكَ دَمَ هذا، وضرب هذا، فيُعْطى هذا مِن حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناته، قبل أن يُقْضَى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه، ثم طُرِحَ في النار»[١].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فِتَناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا»[٢].

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أوّل الناس يُقْضَى يوم القيامة عليه رَجُلٌ استُشْهدَ فَأُتي به فعرَّفه نِعَمهُ فعرفها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشْهِدتُ، قال: كذبْتَ، ولكنك قاتَلْتَ لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أُمِرَ فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار. ورجلٌ تَعلَّمَ العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمْتُ العلم وعلّمْته وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبْتَ، ولكنك تعلّمت العلم ليقال عالمٌ، وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئٌ،

(١) مسلم (٢٥٨١).

(٢) مسلم (١١٨).



فقد قيل، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِي في النار. وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن يُنْفَقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبْتَ. ولكنّك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه، ثم أُلْقي في النار»[١].

٧- عن عمّار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان له وجهان في الدنيا، كان له يوم القيامة لسانان مِنْ نار»[٢].

٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[٣].

*****

قالوا وقلت

قال الأحنف بن قيس: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة:

حليمٌ من أحمق، وَبَرٌّ مِنْ فاجر، وشريفٌ من دنيء[٤].

---

(١) مسلم (١٩٠٥).

(٢) أبو داود (٤٨٧٣) وصحّحه الشيخ الألباني.

(٣)ابن ماجه (١٧١٤) وقال الشيخ الألباني: حَسَنٌ صحيح.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٩٣).



وقلتُ[1]: وكذلك ثلاثةٌ لا ينتصفون من ثلاثة:

زَوْجٌ من زوجته، ووالدٌ من ولده، وحبيبٌ مِن حبيبه.

*****

التواصل الاجتماعي والناس

إن طرق التواصل الاجتماعي الجديدة فد فضحت الناس، وأظهرت أسرارهم في أكلهم وشربهم، وخصائص بيوتهم، وأصبح كل شيءٍ ظاهراً ومكشوفاً ويُعرض علناً للناس، بعد أن كان مستوراً محجوباً، فأصبح الآن يعرض عن طريق هذه البرنامج المسمَّاه (التواصل الاجتماعي) كل شيءٍ يتم عَمَلُهُ أو صُنْعُهُ أو جَلْبُهُ إلى داخل البيت، وخاصة المأكولات والمشروبات، لذا أصبح كثيرٌ من الناس يشتكي من الأمراض النفسية والجسدية بسبب تعرّضه للعيْن لِمَا يعرض يومياً من الأطعمة والأشربة، التي يتم عملها وصنعها في البيوت وتكون جاهزة للأكل والشرب، وهذا الصُّنْعُ غير سديد، لأنه لا يصلح أن يعرض الإنسان كل ما يأكل أو كل ما يشرب أو كل ما يلبس للناس، وخاصة عرض ما يتم تقديمه في الحفلات والمناسبات الأسرية، وقد أُمِرْنا بالسّتر واتّقاء العين، كما أُمِرْنا بكتمان بعض الأشياء، فعن معاذ بن جبل ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي

---

(١) القائل هو المؤلف.

نعمة محسود»[١]. فالعيْن حقٌّ، فعن ابن عباس ﵄، عن النبي ﷺ قال: « العيْن حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابق القَدَرَ سبقته العيْن، وإذا اسْتُغْسِلتم فاغسلوا»[٢].

وعن جابر بن عبد الله ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس: «ما لي أرى أجسام بَنِي أخي[٣] ضارعة[٤] تصيبهم الحاجة» قالت: لا، ولكن العينْ تسرع إليهم. قال: «أرْقيهم» قالتْ: فعرضْتُ عليه، فقال: «ارْقيهم»[٥]. ورأى عثمان بن عفان ﵁ صبيًّا مليحاً تأخذه العيْن جَمالاً، فقال: دَسِّمُوا نونته[٦]، أي سَوِّدُوها لئلا تصيبه العين[٧]. وغير ذلك كثير. لأنّ ليس كل الناس يستطيع أن يشتري أو يحوز كل ما يرى من أكلٍ وشربٍ، ولا يستطيع أن يقيم حفلات عنده وفي بيته على منوال ما يرى ويعرض في الجوّال عن طرق التواصل الاجتماعي، فظروف الناس تختلف، فهناك الذين دخلهم المادي قليل، وهناك الذين ليس عندهم أحد ليقيموا لهم احتفالات، وهناك بعض المشاكل الأسريّة

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٦٢٢٨) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٨٣) والجامع الصغير للسيوطي (٩٤٣) وصحّحه الشيخ الألباني.

(٢) مسلم (٢١٨٨).

(٣) بني أخي: أي أولاد جعفر ﵁.

(٤) ضارعة: أي نحيفة وضعيفة.

(٥) مسلم (٢١٩٨).

(٦) النونة: هي النقرة التي تكون في ذقن الصبي (لسان العرب لابن منظور – نون).

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (نون) والغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيدة الهروي (دسم).

التي تحول دون إقامة هذه الأفراح والحفلات والمناسبات، وقد أمر عليه الصلاة والسلام الصحابي إذا طبخ مرقةً أن يكثر ماءها ويهدي على جيرانهم، حتى لا تنكسر نفوسهم من رؤية اللحم، ورائحة قتار القِدْر، فعن أبي ذرٍّ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذرّ، إذا طبختَ مرقةً، فَأَكْثِرْ ماءها، وتعاهد جيرانك»[١].

وبعض الأُسر هداها الله تعالى إذا سافرت للاستجمام سواء داخل البلاد أو خارجها يقومون بإرسال مقاطع عن المناظر الخلّابة في تلك المناطق أو البلاد التي سافروا إليها إلى أقاربهم أو إلى غيرهم، وهذا لا يصلح، ولا ينبغي، فليس كل الأسر تستطيع السفر، إمَّا لظروف مادّية، والتكاليف العالية، فبعض الأسر دخلهم المادي من المال محدودٌ، لا يستطيعون معه السفر سواء في داخل البلاد أو خارجها، وإمَّا لعدم وجود مَنْ يسافر بهم، فبعض الأسر مثلاً قد فقدت الأب، فلا يستطيعون مع ذلك السفر، وبعض الأسر ربّما فقدت الأمّ، وبعضها فَقَدَت بعض أفراد الأسرة، وغير ذلك من المعوّقات التي تحول دون سفر بعض الأسر، فهذا كلّه قد يسبّب الإصابة بالعين. فَلْيَنتبهْ هؤلاء الذين يعرضون مأكولاتهم ومشروباتهم على أجهزة الجوَّالات، حتى لا تتعلّق بعض الأنفس بما ترى أو تسمع، وحتى يكون المسلم في مأمنٍ ومنأى من العين والحسد والأمراض الجسدية والنفسية التي انتشرت بكثرة في الآونة الأخيرة، والله تعالى أعلم.

*****

(١) مسلم (٢٦٢٦).

وقفة

إذا رأيتَ فرصةً فأقْدمْ.

وإذا ذهبتْ فأحْجمْ.

*****

حكمة

ليس ذو القال والقيل بخليل.

*****

وقفة

إذا رأيت الرجل ليس له اهتمام في هذه الدنيا إلا بمظهره، وأناقته، ولِبْسه، وزينته، وأكله وشربه، فاعلم أنه غافلٌ عمَّا وراءه، وإنما العاقل يأخذ من هذا، ومن هذا.

*****

حكمة

في الأزمات والنوازل هوِّنْ ولا تهوِّلْ.

*****



انظر وتـأمّل

انظر هداك الله تعالى، أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل لليهود ولا للنصارى أي أثر، ولا أي (بصمة) ولا أي شيءٍ يُذْكرون به في مكة المكرمة إطلاقاً، حتى لم يسكنوها، فأبعدهم الله تعالى عن مكة المكرمة وسكناها، وعن بيته (الكعبة المشرفة) وإنما جعل الله عزّ وجلّ بقاء الذّكر في مكة من طريق أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فبإرادة الله تعالى: الذي سكن في مكة المكرمة هو إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام، وأُمّه هاجر، والذي رفع قواعد البيت هو إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، والمقام مقام إبراهيم عليه السلام، والحِجْر حجْر إسماعيل عليه السلام وزمزم الماء المبارك نَبَعَ تحت قدمي إسماعيل عليه السلام، والذبيح على أرجح الأقوال هو إسماعيل عليه السلام، والذي كان سيذبحه هو أبوه إبراهيم عليه الصلاة والسلام في جوانب مكة المكرمة لو لا عناية الله تعالى ورحمته بهما، ومشاعر الحج كلها ورمي الجمرات كلها تُذكّر بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولم تأتِ إلا عن طريقه، ثم سيد البشر نبينا محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين كان من مكة المكرمة، وهو من ذريّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة السلام، والصلاة الإبراهيمية معروفة في التشهد الأخير من كل صلاة، والذين سمّانا (المسلمين) هو إبراهيم عليه السلام، ومِلّتُنا هي مِلَّة إبراهيم عليه السلام كذلك، قال جلّ وعلا: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ



أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج]، وبِعْثَةُ نبينا وحبيبنا محمد ﷺ من مكة المكرمة هي دعوة إبراهيم عليه السلام، قال تبارك وتعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة] فهذا التسلسل الذهبي والمضيء كلّه كان من طريق إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولم يكن لأهل الكتاب ذِكْر في هذا الأمر لا من قريب ولا من بعيد، فليس لهم مشاعر ولا مآثر في مكة المكرمة، وليس لهم أي شعيرة في ديننا – دينالإسلام – نَتَّبِعها، وإنما ملّتُنا هي ملة إبراهيم عليه السلام، الحنيفية السمحة التي جاء بها رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النحل] وقال عز وجل: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لتعلَمَ يهود أنّ في ديننا فُسْحةً، إني

أُرْسِلْتُ بحنيفيّةٍ سمحةٍ»[١] وعن ابن عباس ﵄ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ الأديان أَحَبُّ إلى الله؟ قال: «الحنيفيةُ السمحةُ»[٢].

*****

حكمة

بعض الزَّوْر[٣] يقف في الزَّوْر[٤].

حقيقة

مَنْ كَثُر حُسَّاده كَثُرتْ فضائله.

*****

قالوا وقلت

قالوا: للحيطان آذان.

وقلت[٥]: وكذلك للحيطان عينان.

حكمة

الرَّقْص للرجل نَقْص.

---

(١) الإمام أحمد في المسند (٢٤٨٥٥) وقال محققوه: حديث قوي وهذا إسنادٌ حَسَنٌ.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢١٠٧) وقال محققوه: صحيح لغيره.

(٣) الزّوْر هنا المقصود به: الزائرون.

(٤) الزَّوْر هذا المقصود به هو الصدر وما حوله.

(٥) القائل هو المؤلف.

خاطرة

اطلب العِلْم لِلْعِلْم لا لِلْعِلْم.

فمعنى: اطلب العِلم لِلْعِلم: أي لذات العِلْم نفسه، لكي تعرف ربّك فتعبده على بصيرة، ولكي تعرف نبيّك ﷺ، وتؤمن برسالته، ولتعرف دينك فتتعبَّد الله تعالى به، ولكي تنفع نفسك، وتنفع إخوانك المسلمين، وتدافع عن الإسلام وأهله.

وأمّا قولنا: لا للعلم: أي لا لِلْعلم بنفسك لكي تكون معروفاً، أو مشهوراً بين الناس، ولا لكي يعرفوا نشاطك الدعوي، أو كثرة محاضراتك، أو كثرة أشرطتك، ولا لتماري به السفهاء، أو تجادل به العلماء، ولا لحبِّ الظهور أمام الناس، ولا للتّنويه بما عندك من علم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تعلّم العِلم ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم»[1]. وكذلك أخبرنا عليه الصلاة والسلام أن أول الناس يُقضى عليهم ثلاثة، منهم رجل تعلّم العِلْم ليقال عالم[2].

*****

(١) ابن ماجه (٢٦٠) وحسَّنه الشيخ الألباني.

(٢) مسلم (١٩٠٥).

تنبيه

العَيْنُ تجفُّ العَيْن.

فالعيْن الأولى: هي عَيْنُ العائن التي لا تذكر الله تعالى، ولا تصلّي على رسوله ﷺ، ولا تُبَرِّكُ للمسلمين، والتي تنطلق منها سهامٌ قاتلة، نعوذ بالله منها.

والمقصود بالعيْن الثانية: هي العين الجارية بالماء.

أي أنَّ العائن إذا أصاب بعيْنه عين الماء، جفَّتْ مِنْ الماء.

*****

إرشاد وتوضيح

انظر ماذا تتمنَّى حتى لا تتعنَّى.

فما كلّ مَنْ تمنَّى تهنَّى.

*****

اختبار وتمحيص

إذا أردت أن تعرف عقل إنسان.

فانظر إلى ما ينطقه من لسان.

*****

حكمة

الحسد كالأسد يُمَزِّقُ الدِّينَ والجَسَد.

فائدة

انظر إلى السرِّ البيلغ، والبلاغة المتناهية في قول الله تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص] فقدَّم ﴿ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ على ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ وذلك والله أعلم لأن أم موسى كانت في حالة نفسية شديدة من الخوف والحزن على وليدها، فهي تسأل عنه كل يوم، وتريد أن يَصِلُها أيّ خبر عنه، لتقرَّ عينها، ويذهب حزنها، فقد أصبح فؤادها فارغاً وخالياً مِن كل شيء إلا من موسى وأخباره، فلما ردَّهُ الله تعالى إليها، كان أوّل شيءٍ أَحَسَّتْ به هو قرة العين، وذهاب الحزن، فهذا كان قبل كل شيءٍ، لأن هذا هو الذي كان قد استحوذ عليها وعلى تفكيرها، فصار هو أوّل ما تفكّر فيه ليل نهار، وكان هو الماثل أمام عينيها، وهو هجيرها المستمر معها، فلما ذهب عنها هذا كلّه، واطمأنّت نفسها، وذهب عنها قلق نفسها وحزنها، وعادت إليها نفسها، عَلِمَتْ أن وَعْد الله حقٌّ، وهي وإن كانت تعلم ذلك من قبل، لكن غياب وليدها عنها، وَوَجْدها عليه، قد غيَّبَ عنها كل شيءٍ حتى وَجَدَتْهُ، فرجع لها كل شيءٍ غاب عنها حَالَ فقدها لوليدها موسى عليه السلام، ولا غرو في ذلك، فالوالدان هما كذلك دائماً، والله تعالى أعلم.

*****



حكمة

إذا ارتاح القلب بَدُنَ القالب.

*****

ضرر القول بغير علم

(أنا أرى) اجعلها وراء.

*****

حقيقة

التقوى سياج.

*****

خاطرة

قبل أن تفكّر في الكلام الذي ستجعله (حالة) للواس أب، حتى يَعْجَبَ الناس بها، وينبهرون منها، فكِّر ماذا تَنْقُشُ في قلب ابنك مِنْ حالات جميلة تُعْجِبُ الناس أيضاً وينبهرون منها.

*****

حكمة

قَليلُ الحظِّ دائماً مَلُوم.

*****

فائدة

إذا جاء الخطأ من أهل الصواب.

فكيف ترجو الصواب مِنْ أهل الخطأ.

*****

فائدة

الجمعة للمسلم متعة.

*****

حكمة

في الباطل لا تشفع ولا تتوسَّط حتى لا تتورَّط.

*****

فائدة

لعلَّ ذِكْر فِعْل أبي جهل مع الرسول ﷺ في أوّل سورة نزلت، لعلَّ ذلك يُنْبئ أنه سوف يقف في وجه الدعوة من أوّل أمرها، وقد كان ذلك، فإنه هو الوحيد من كفّار قريش الذي وقف في وجه الإسلام، ووقف ضدّ نبينا محمد ﷺ بصلابةٍ وشدّةٍ وعداوةٍ، فمنذ بدأ الإسلام وبدأ النبي ﷺ بتبليغ الرسالة، وقف أبو جهل من هذا موقف العداوة والبغض لهذا الدين ولمن جاء به، فعن أشعث قال: حدّثني شيخٌ من بني مالك بن كنانة قال: رايت رسول الله ﷺ بسوق ذي



المجاز يتخلَّلُها يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تُفْلحوا) قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب، ويقول: يا أيها الناس، لا يغرَّنَّكم هذا عن دينكم، فإيريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعزىّ، قال: وما يلتفتُ إليه رسول الله ﷺ(١). واستمر على ذلك حتى قُتِلَ يوم بدر، لذا ذُكِرَ مِنْ بين كفّار قريش في أوّل يومٍ بدأ فيه الرسول ﷺ بتبليغ هذا الدّين، والله تعالى أعلم.

حكمة

دليل العمل العِلْم، وثمرة العِلْم العمل.

حقيقة

كل ذليلٍ بين أهله وقومه عزيز.

*****

شفافية القلب

ذو القلبِ الرقيقِ عتيقٌ وليس برقيق.

*****

ظهور الخبايا

عند المحَك يظهر مَنْ صَدَقَ وَمَنْ أَفَك.

*****

(١) مسند الإمام أحمد (١٦٦٠٣) وقال محققوه: إسناده ضعيف.

نظرة تأمُّل

إذا كان الأساس مغشوشاً كان البناء مهشوشاً.

*****

حقيقة

ما أقرب الغد وأبعد الأمس.

*****

الإسلام (البناء المتكامل)

إن تعاليم الإسلام بما فيها من أوامر ونواهي، عبارة عن بناء متكامل مِنْ جميع النواحي، فظاهره وباطنه سواء، كُلُّه نورٌ، فمن ظنّ أن الإسلام جزءٌ معيَّن فقط فإنه يجهل هذا الدين، ولا يعرف منه إلا هذا الجزء الذي يُطبِّقه في حياته وينتجعه، فمثلاً: مَنْ ظنَّ أن الإسلام فقط عبارة عن ثوبٍ قصيرٍ، وإعفاءٍ للّحية، فهو لا يعرف من الإسلام هذا البناء المتكامل إلا جزءاً قليلاً من هذا البناء الشامخ، أي أنه لم يعرف إلا جزءاً صغيراً من أجزائه الخارجية، وجهل وترك جزءاً عظيماً من أجزائه الخارجية، وترك كلّ الأجزاء الداخلية من هذا البناء العظيم.

إن هذا الإسلام بجميع تعاليمه، من أوامر ونواهي، هو هذا البناء الكامل الشامخ، فجميع ما دعا إليه النبي ﷺ في العهد المكّي والعهد المدني هو هذا



الإسلام الذي جاء به مِن عند الله عز وجل، فهو صلى الله عليه وسلم طيلة سنوات البعثة والتي بلغت ثلاثاً وعشرين سنة تقريباً كل ما بلّغه ودعا إليه خلالها يعتبر هو هذا الإسلام الكامل الذي أُمِرَ بتبليغه للناس أجمعين من صلاة وصوم وزكاة وحجٍّ، وأخلاق ومعاملات، وعلاقات اجتماعية وفرائض ونوافل، ومستحبّات، وحلال وحرام ومكروه، وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر، وإفشاء السلام، وغير ذلك كثير من تعاليم هذا الدين، يعتبر هذا هو الإسلام الحقّ الكامل، وهذا هو البناء الشامخ المتكامل، وأمّا مَنْ ظَنّ أن الإسلام هو جزءٌ قليل فقط ويُطبِّقه، فهذا هو حظُّه من الإسلام، وقد فاته نورٌ عظيمٌ، وأجرٌ كثيرٌ، فالإنسان يكون بُعْدَهُ وقربه مِن هذا النور والبناء الشامخ الضارب في عنان السماء يكون حسب ما أخذ من هذا البناء العظيم من داخله وخارجه، وتَمَثَّلَهُ وَطَبَّقَهُ، فليس الإسلام مثلاً هو عبارة عن تقصير ثوبٍ وإعفاء لِحْيَةٍ فقط، لا. وإنما هذا جزءٌ من أجزاء هذا الإسلام العظيم، وجزء من أجزاء هذا البناء الشامخ الذي ظاهره وخارجه كلُّه نور، وكله إسعاد للبشرية في حياتهم وآخرتهم، فمن ظنَّ أن هذا هو الإسلام فقط، فإنه يجهل الإسلام الذي جاء به نبيّنا محمد ﷺ، وهو كذلك يسيئ للإسلام ويرميه بالنقص وإنه –أي الإسلام– عاجز عن مواكبة الحياة المتطورة والمتجددة كل يوم، وإنه ليس له قدرة على حلِّ مشاكل البشرية، وأنه لا يصلح أن يكون شاملاً لسعادة البشرية،

وإنه ليس فيه شمولية، فلو حدثت مثلا مشكلة أو قضيّة فإنه لا يستطيع احتواءها، لأن تعاليمه قاصرة، وليس فيه –أي الإسلام– إلا هذا الجزء الذي يعرفه ويطبّقه هذا الشخص الذي يقول بهذا، كما إنه يتّهمُ النبي ﷺ بعدم تبليغ جميع تعاليم الإسلام، وإنه صلى الله عليه وسلم لم يأتِ إلا بهذا الجزء الذي ينتجعه ويعرفه ويطبّقه هذا الشخص، ولم يبلّغ سواه، بل قد يمتدّ ويبلغ الأمر أن يتّهم الذات الإلهية، وإنه سبحانه وتعالى لم يرسل جبريل عليه السلام على نبيّنا محمد ﷺ إلا بهذا الجزء فقط مثلاً، وهذا لاشكّ إنه ضلالٌ مبين، لأن النبي ﷺ وطيلة سِنِيّ البعثة، كان يبلّغ كل ما أُنْزل إليه من هذه التعاليم الإسلامية السمحة، فهو صلى الله عليه وسلم بلّغ وهو في مكة كل ما أُنْزل إليه من ربه عزّ وجل، ثم لمّا هاجر إلى المدينة كذلك استمرّ في تبليغ كل ما بقي من تعاليم الإسلام، حتى توفّاه الله تبارك وتعالى، فمن هذه الآيات التي نزلت عليه ﷺ وهو في مكة المكرمة، وبقي حكمها وفائدتها عندما هاجر إلى المدينة، وسيبقى حكمها إلى الأبد، قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم] وهي من أوائل الآيات التي نزلت على نبيّنا محمد ﷺ، إن هذه الآية في سورة القلم، وسورة القلم هي السورة الثانية التي نزلت عليه صلى الله عليه وسلم، بعد سورة العلق، ونزول هذه الآية في هذا الوقت المبكر، أي في أوائل البعثة المحمدية المباركة، فيه سِرٌّ لطيف، وأمرٌ خفيٌّ، أي لتعلموا أيها الناس أن هذا النبي المختار المصطفى عليه



الصلاة والسلام على خلقٍ عظيم جداً، وأنه ما يدعوكم إلى خُلُقٍ من أخلاق هذا الإسلام الجديد الذي يبلغكم إيّاه، ويدعوكم للدخول فيه، أنه ما يدعوكم إلى خلقٍ من أخلاقه وإلى جزء من أجزاء هذا البناء المتكامل ظاهره وداخله، إلا وفيه صلى الله عليه وسلم منه الحظ الأوفر، والشيء الأكبر، والنصيب الأوفى، فإذا أمركم بالصلاة ودعاكم إليها مثلاً، فإنه ﷺ قام حتى تفطّرت قدماه[١]، وإذا دعاكم إلى البذل والسخاء فإنه عليه الصلاة والسلام يعطي عطاء مَنْ لا يخشى الفقر[٢]، وأنه كالريح المرسلة[٣]، وإذا دعاكم كذلك إلى الصوم فإنه كان ﷺ يصوم حتى يقال لا يفطر[٤]، بل كان يواصل في الصوم[٥]، وإذا دعاكم مثلاً إلى الصدق في القول فإنه ﷺ لم تكتب عليه ولا كذبة واحدة حتى مات ولحق بالرفيق الأعلى، وإذا دعاكم وأمركم بالصبر فإنه كان يصبر على أذى المشركين وعلى أذى أعدائه في مكة، كأبي لهب وامرأته حمّالة الحطب، وعلى أذى اليهود والمنافقين في المدينة، وإذا دعاكم للجهاد في سبيل الله تعالى فإنه كان في ميدان

(١) البخاري (٤٨٣٧).

(٢) مسلم (٥٩٧٥-٥٨).

(٣) البخاري (٦) ومسلم (٢٣٠٨).

(٤) البخاري (١٩٦٩).

(٥) البخاري (١٩٢٩) ومسلم (١١٠٢).

المعركة أقرب ما يكون من العدو[١]، وإذا دعاكم ﷺ للخشوع في الصلاة والخوف من الله تعالى فإنه كان عليه الصلاة والسلام يُسمع لصدره وهو ساجد أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء[٢]، وإذا دعاكم لطلاقة الوجه مع بعضكم فإنه كان ﷺ طلق الوجه مع أصحابه ومع غيرهم، وكان إذا لقيهم يبتسم لهم وهكذا في جميع تعاليم الشريعة الإسلامية، فهو عليه الصلاة والسلام لم يأخذ بعضها ويترك بعضها وإنما كان ﷺ يتمثل الإسلام كاملا، فما دعانا ﷺ إلى خُلُق من أخلاق الإسلام، إلا وكان فيه، وكان يتمثّله، ويتحلّى به ويتصف به، ويُعْرَفُ به قبل أن يدعونا إليه، وصدق الله تعالى حيث يقول عن نبيه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾.

ولو تأمّلت هذه الآية العظيمة وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] فإن هذه الآية العظيمة لم تنزل على الرسول ﷺ إلا في أواخر حياته، فلم تنزل عليه وهو في مكة، مع أنه أُنزل عليه آيات وسور كثيرة وهو في مكة، وكذلك لم تنزل عليه هذه الآية الكريم الآنفة الذكر أثناء الهجرة، وقد نزلت بعض الآيات أثناء الهجرة،

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦٥٤) وقال محققوه: إسناده صحيح.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٦٣٢٢) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

والسبب في ذلك والله تعالى أعلم، أن تعاليم الإسلام من أوامر ونواهي وفرائض ونوافل وحدود، وحلال وحرام، وأحكام ومعاملات وغير ذلك لم تنته بعد، أي أن البناء لم يكتمل بعد، وهو الإسلام، وكذلك عندما قدم المدينة صلى الله عليه وسلم لم تنزل عليه هذه الآية التي ذكرناها آنفاً عند أول قدومه ووصوله للمدينة، وذلك للسبب نفسه، ولكن عندما بلّغ صلى الله عليه وسلم كل ما أُنزل عليه من تعاليم الإسلام وشرائع الدين، وختم حياته صلى الله عليه وسلم بحجة الوداع، حيث إن شرائع الإسلام قد اكتملت، قال ﷺ للناس معه في حجة الوداع، (هل بلّغت؟) قالوا: نعم، قال: (اللهم فاشهد) وهذا يدل على تبليغه ﷺ جميع شرائع الإسلام ولم يبق منها شيء، فعندها أنزل الله تعالى هذه الآية العظيمة عشيةّ عرفة، ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ إذ لم يبقَ من حياة النبي ﷺ إلا أشهر معدودة، فنزول هذه الآية الكريمة في هذا الوقت يدلُّ على أن جميع شرائع الدين اكتملت، وأن هذا البناء الشامخ (الإسلام) أصبح مشيّداً وقائماً ومرتفعاً بجميع أجزائه الداخلية والخارجية، وأصبحت معلومة لجميع المسلمين، وأصبحت في متناول كل مَنْ يريد أن يأخذ منها، ويقتبس من نورها، وينهل من معينها، فمن هذا كلّه تعرف أن الإسلام بناء متكامل، وليس جزءاً محدوداً قليلاً كتقصير ثوبٍ مثلاً، أو إعفاء لحية فقط، وإنما هو مساحة كبيرة ومسافة طويلة وعريضة من التعاليم

الإلهية العظيمة، وتعلم أيضاً السرّ في تأخّر نزول هذه الآية على رسولنا ﷺ، فهي لم تنزل عليه إلا في آخر حياته، عندما بلّغ كل تعاليم وشرائع هذا الدين، أي أن البناء أصبح متكاملاً، ولم يبق من تعاليمه كلها إلا وقد نزل، وإلا قد بُلِّغَ، قال ﷺ: (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[١].

فعندما قال ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون –أو بضع وستون– شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)[٢]. فعندما تسمع هذا الحديث الشريف يتكوّن لديك فكرٌ، وينمو إليك عِلْمٌ، فتتخيّل المسافة بين: بين لا إله إلا الله وإماطة الأذى عن الطريق، هذه المساحة الكبيرة الواسعة تكون مليئة بأجزاء لا حصر لها من تعاليم الإسلام: أوامر ونواهي وأحكام وحلال وحرام ومستحبات ومكروهات وغيرها كثير كثير، فبحسب ما تأخذ من هذه التعاليم، يكون قربك وبعدك من هذا البناء الإسلامي الشامخ ومدى دخولك في هذه المسافة الكبيرة، ويكون لديك عِلْم أن أخذك بجزء من أجزاء هذا البناء المتكامل لا يعني أنك قد أخذت الأجزاء كلها، وأن أخذك هذا يكون ناقصاً وقاصراً، وتعلم أيضاً أن مقدار إيمانك يكون بقدر ما تأخذه من هذه الأجزاء التي يتكوّن منها هذا البناء المتكامل، لأن

---

(١) ابن ماجه (٤٣) وصحّحه الشيخ الألباني.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٦٣٢٢) وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الإيمان كما هو معلوم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهذه قاعدة عند أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ ﴾ [التوبة] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤ ﴾ [الفتح].

فانظر إلى إيمان أبي بكر الصديق ﵁، فإنه لمّا تمثّل هذا الدين، وأخذ تعاليم الإسلام كاملة، ولم يقتصر على جزءٍ معيّن منها، بل أخذ جميع الأجزاء الداخلية والخارجية التي يتكون منها هذا البناء الإسلامي الشامخ، وكان أنموذجاً للإسلام الكامل، وإيمانه يزن إيمان هذه الأمة، كوفئ ﵁ بأنه يُدْعَى يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية كلها، فعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ أنفقَ زوجين من شيء مِن الأشياء في سبيل الله دُعِيَ من أبواب – يعني الجنة- يا عبد الله هذا خيرٌ فَمَنْ كان مِنْ أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومَنْ كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومَنْ كان مِن أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة، ومَن كان من أهل الصيام دُعِي من باب الصيام وباب الريّان) فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدْعى مِنْ تلك الأبواب من ضرورة. وقال: هل يُدعى منها كُلِّها أَحَدٌ يا رسول الله؟ قال: (نعم، وأرجو أن تكون منهم)(١).

---

(١) البخاري (٣٦٦٦) واللفظ له ومسلم (١٠٢٧).

يا الله

الخــوف منــك ربنــا ذوّبنــي   وشــوقي إليــك الله قــد أرّقنــي
وَسَــيْلُ حُبِّــكَ القــويّ لم يــزل   يحــــيط بي إلى أن أغْرَقَنـــــي[1]

(١) للمؤلف.

الروايات

رحلة إيمانية

لكل صنعة صانع، وصانع هذا الكون هو الله



رحلة إيمانية

(لكل صنعة صانع، وصانع هذا الكون هو الله)

بينما يسير أحمد وعبد الله مع بعضهما، إذ رأيا أَسْوِدَةً

فقال أحمد: انظر يا أخي هناك ماذا ترى؟

عبد الله: إني أرى أناساً مجتمعين.

أحمد: وعلى أي شيءٍ هم مجتمعون؟

عبد الله: لا أدري، ولكن إذا وصلنا إليهم سنعرف، وسنساعدهم إن شاء الله تعالى.

فلما وصلا إليهم، وجدوهم قد اجتمعوا حول (سيارة) متعطّلة، لا تستطيع السَّيْر، والناس يتنازعون حولها، كُلٌّ يريد أن يصلحها بنفسه عن غيره، وفي أثناء هذا النِّزاع والعِراك إذ أقبل رجلٌ مِن بعيد، يرتدي بنطالاً وقميصاً، وعلى رأسه قُبَّعَةٌ، ويسير مسرعاً نحو السيارة حتى وصل إليها، فسأله الناس المجتمعون حول هذه السيارة المتعطّلة:

س: ما اسمك؟

ج: المهندس ليونتي.

س: ماذا تريد؟

ج: أريد أن أُصْلح هذه السيارة المتعطّلة.

س: ولماذا؟ وما علاقتك بها؟

ج: إنها سيارتي، فأنا الذي صنعتها، وأعلم كلّ ما فيها وما تحتويه في داخلها وخارجها، وأنا الذي أوجدّتها، لم يشاركني أحدٌ منكم ولا من غيركم في صناعتها، ولا في مبدأ إيجادها أبداً فأنا أحقُّ بها، وأحقُّ الناس بإصلاحها، واسألوا هؤلاء عن ذلك:

يا فلان: هل شاركتني يوماً من الأيام في صناعتها ومبدأ إيجادها؟

ج: لا.

س: وأنت يا فلان؟

ج: لا.

إذاً أنا أحقُّ بها منكم، إذ إنّ الصانع هو الذي يعرف صناعته وما فيها، فكيف أصنع أنا الصنعة وتذهب إلى غيري؟ وكيف أخترع اختراعاً ويدّعيه غيري؟ قولوا لي أيها الحاضرون:

س: هل قبل إيجاد هذه الصنعة – السيارة – أكنتم تعرفون شيئاً اسمه: سيارة؟

الجميع: لا.

س: وهل كنتم تظنّون أن هناك آلة تطوي لكم المسافات البعيدة في زمنٍ قصيرٍ قبل صناعتي هذه؟

الجميع: لا.

س: وهل منكم أحدٌ يستطيع أن يدَّعي أن هذه الصناعة هو الذي صنعها واخترعها، أو من اختراعه وساعده في ذلك غيره؟

الجميع: لا.

إذاً أنتم مجمعون ومطبقون على أن هذه الصنعة صناعتي أنا، واختراعي أنا وحدي لم يشاركني فيها أحدٌ من الناس، ولم يساعدني في اختراعها وإيجادها أحدٌ من الناس.

الجميع: نعم.

ليونتي: أنا أريد اعترافاً منكم بذلك.

الجميع: نحن جميعاً نعترف أن هذه الصنعة، وهذا الاختراع – السيارة – من إيجادك وحدك، ولم يشاركك أحد في صناعتها ولا في مبدأ إيجادها، وإننا **جميعاً نمنحك:** براءة اختراع.

وبعد هذا النقاش والنزاع والمجادلة، التفت عبد الله إلى صديقه أحمد، وقال له: ما رأيك نكلّم المهندس ليونتي حول الإيمان بالله تعالى، وحول صناعة الله جل وعلا للكون؟

أحمد: شيءٌ جميل.

فنادى عبد الله المهندس ليونتي، وقال له: يا مستر ليونتي هل ممكن تعطينا جزءًا قليلاً من وقتك؟

ليونتي: نعم، لا مانع عندي.

عبد الله: يا مستر ليونتي أنت غضبتَ غضباً شديداً عندما أحسستَ أن أحداً يريد أن يدّعي أن هذه السيارة من صناعته ولم ينسبها إليك؟

ليونتي: نعم غضبت غضباً شديداً عندما لم يَعْزُ الصناعة إلى صانعها، وفرحت فرحاً شديداً عندما اعترفوا لي بأني صانعها الأول.

أحمد: لو لم يعترفوا لك بصناعتها، وأنها من عملك وصنعتك وأقرّوا بها لشخصٍ آخر غيرك، وأنكروا إيجادك لها، ماذا كنت تفعل؟

ليونتي: كنت سوف أجادلهم وأنازعهم، وأعرض قضيتي على العالم أجمع، وأنافح وأدافع، وأعمل كل ما في وسعي حتى يعترفوا لي بصناعة هذه السيارة، وأني أنا مخترعها وموجدها الأول.

عبد الله: هذا شيءٌ جميل، ولكننا نريد منك يا مستر ليونتي أن تلاحظ معنا بعض الملاحظات:

هذا الكون الذي أنت فيه الآن، السماء الواسعة فوقك، والجبال الشامخة أمامك، والأرض المنبسطة تحتك، وهذه النجوم الجميلة كثيرة العدد المعلقة كأنها مصابيح، وهذا الفضاء الواسع، يا ترى مَنْ أوجده، وهو مِنْ صناعة مَنْ؟ وَمَنْ صانعه الأوّل؟

ليونتي: هاه... هاه... وشرق بريقه فجأةً.



أحمد: لا عليك، نسألك سؤالاً آخر: هل سمعتَ أو قرأتَ أو أُخبرتَ أن أحداً عبر القرون والأزمان ادّعَى أنه هوالذي صنع هذا الكون الواسع الكبير، أو أنه أوجده واخترعه؟

ليونتي: لا. لم أسمع ولم أقرأ عن هذا أبداً.

عبد الله: سؤال آخر: أنت مهندس، وذو عقل كبير وراجح، وإلّا لما توصَّلتَ إلى اختراع السيارة هذه. فهل يا ترى حسب عقلك وثقافتك وعلمك، وسعة اطلاعك، هل توجد صنعة بلا صانع؟ وهل يوجد اختراع بدون مخترع مهما كَبُرَ أو صَغُر وفي أيّ مكان كان؟ وأنت يا مستر ليونتي قد مَرَّ معك قبل قليل هذا الموقف، وقد ظهر عليك الغضب والإنكار الشديد عندما خِفتَ أن تُنْسب صناعة السيارة إلى غيرك، وأن يدّعي أحدٌ أنه هوالذي صنع السيارة وأنه مخترعها الأول؟

ليونتي: لا. لا. لا يمكن هذا، بل لكلّ صنعة صانع، ولكلّ اختراع مخترع، هذا ما تعلّمناه ودرسناه على أيدي العلماء العقلاء.

أحمد: إذاً هذه الصنعة العظيمة – الكون بما فيه – هل يمكن أن يقول عاقل إنه أوجد نفسه بنفسه بدون صانعٍ له، فإذا كانت الصناعات الصغيرة – كالسيارة مثلاً – لا يمكن أن توجد إلا بصانع، فكيف بالصناعات الكبيرة العظيمة كالكون مثلاً؟

ليونتي: لا يمكن أن يقول بهذا أحد، عاقلاً كان أو غير عاقل.

عبد الله: وثَمَّتَ سؤال آخر يا مستر ليونتي.

ليونتي: تفضّل اسأل.

عبد الله: إذا كانت الصناعات الصغيرة، وحتى الكبيرة منها لا يمكن أن يصنعها الإنسان إلا بمباشرتها وملامستها، والوقوف عليها وعلى تفاصيلها، والوقوف إلى جانبها، ومراقبتها منذ البداية، إلى نهاية إخراجها للناس، وعرضها في الأسواق، والحرص على أخذ براءة اختراع لها، فَمَنْ رقى إلى السماء؟ ومَنْ لامسها؟ ومَنْ وقف إلى جانبها حتى صارت بهذا الشكل؟ يا تُرى مَنْ يقول مِن الناس أنا فعلت هذا وهو لا يعرف أصلاً مساحة السماء مثلاً، مِن أين تبدأ أو إلى أين تنتهي، وكذلك الأرض؟ وكذلك هو لا يعرف أصلاً عدد النجوم، فما رأيك يا مستر ليونتي؟

ليونتي: لم يقل أحدٌ بذلك، ولم يلمس أحد من الناس السماء ليصنعها أبداً، ولا أحدٌ من الناس يعرف كم هو قُطْر السماء، أو قُطْر الأرض، أو يعرف عدد النجوم.

أحمد: ألا ترى يا مهندس ليونتي بحسب عقلك هذا الراجح أنّ هناك قوة عظيمة جداً صنعت هذا الكون العظيم وأوجدته؟

ليونتي: بلى أظن ذلك.



عبد الله: ومَنْ تظنّ أنه هو الصانع لهذا الكون العظيم والمخترع الأوّل له؟ ومن هو مصدر هذه القوة العظيمة المتناهية؟

ليونتي: هاه... هاه... ثم تلعثم وأخذ يكح: كحّ... كحّ... كحّ... كحّ.

أحمد: لا عليك. سأسألك سؤالاً آخر لعلّه أوضح وأهون عليك، ألم تقرأ في الكتب القديمة عندكم أن مصدر هذه القوة هو الله؟

ليونتي: نعم. قرأتُ ذلك.

عبد الله: فإذا قرأت ذلك فاعترف بوجوده وصنعته وأنقذ نفسك.

ليونتي: أنت ماذا تريد منّي؟ حدّد مرادك مني.

عبد الله: لماذا لا تعترف بوجود الله؟

ليونتي: لأني لم أره.

أحمد: وهل كل ما لا يُرَى غير موجود؟ ولا موجود إلا ما يُرى؟ هذا خطأ في العلم والعقل. فكم من موجودٍ ولكن لا يُرى، فنحن نلمس آثاره ونجدها في بعض الأشياء، فنعرف أنه موجود وإن لم نره، كالهواء مثلاً.

ليونتي: أحسنت، وهذا منطقٌ سليم، ولكن هكذا تعلّمت.

عبد الله: نعم. ولكن العلم غير جامد، وإنما هو متحرك ومتطوّر، من زمنٍ إلى زمنٍ، ومن جيلٍ إلى جيلٍ، حتى يصل معه صاحبه إلى الحقائق.

ليونتي: وما ينقصني من العلم؟ أنا متعلم.

أحمد: نعم. ولكن ينقصك أن تعلم أن ليس كل ما تعلّمه الإنسان في حياته أنه حقيقة صحيحة، أو أنها ثابتة لا تتغير. لا. وإنما العلم الصحيح هوما يصل بصاحبه إلى الرقي والحريّة والنور.

ليونتي: ثم ماذا؟

عبد الله: فعليك يا مستر ليونتي أن تعترف بوجود الصانع لهذا الكون وهو الله تعالى، كما اعترف الجميع من قبل أن السيارة هذه صانعها الأول هو أنت؟ أليس كذلك؟

ليونتي: بلى. إن السيارة صانعها الأول هو أنا، ولكن...

أحمد: ثم أريد أن أذكّرك بشيءٍ حدث قبل قليل: أَلَمْ تغضب غضباً شديداً عندما أراد بعض الناس أن يدّعي أنه هو الصانع الأول لهذه السيارة، وأنه هو مخترعها الأول، وأنه هو الذي أبرزها وأظهرها للناس، ألم يحدث هذا؟

ليونتي: نعم. وكدت أن أفقد عقلي وصوابي.

عبد الله: فكذلك يا مستر ليونتي لا يجمل بمثلك أن تنكر الصانع الأول للكون، وأن تنسب صناعة هذا الكون للطبيعة، أو أن هذا الكون ليس له صانع، وأنه أوجد نفسه بنفسه، فمثل هذا القول لا يقول به عاقل أبداً، وإنما تنسب صناعة هذا الكون لصانعه الأول وهو الله، وإلّا يغضب غضباً شديداً، لا يداني غضبك بشيءٍ ولا يساويه، ولا يماثله، فماذا تقول؟



ليونتي: أنا محتار ماذا أقول. دعوني الآن. أعطوني فرصة للتفكير في هذا الموضوع، ومِنْ ثَمَّ أقرّر.

وهكذا مرّت بصناعة السيارة تطوّرات وتغيّرات وإصلاحات وتحسينات، فهي في كل سنة تظهر بشكل أحسن من السنة التي قبلها، حتى أصبحت الآن، وكما نراها في أحسن صورة، وأجمل منظر، وأسهل تناولاً واستعمالاً، إلا أن بعض العقول البشرية لم يصلها هذا التطور، ولم يصبها هذا التغيّر، ولم تتقدم إلى الأحسن، بل ظلّت تعيش في ظلام الإلحاد والكفر، ولم تهتدِ إلى نور الإسلام، حتى ماتت على الكفر والإلحاد، وإنكار وجود الصانع لهذا الكون العظيم، ألا وهو الله عزّ وجلّ.

*****

حوار بين متواضع ومتكبّر

المتواضع: السلام عليكم ورحمةالله وبركاته.

المتكبّر:......

المتواضع: كيف أنتم؟ وكيف أحوالكم؟

المتكبّر:......

المتواضع: لماذا لا ترد السلام عندما يلقيه عليك أخوك المسلم؟

المتكبّر: لا أريد.

المتواضع: لماذا؟

المتكبّر: لأني لا أمشي مثلكم على الأرض.

المتواضع: فأين تمشي أنت إذاً؟

المتكبّر: أمشي على رؤوس الجبال، ورأسي في السحاب لذا لا أرى أحداً من الناس سِوَى نفسي.

المتواضع: أنا عندما ألقيتُ عليك السلام، هل تعرفني؟

المتكبّر: لا.

المتواضع: هل تعرف اسمي واسم أبي؟ وهل تعرف من أين أنا؟

المتكبّر: لا.



المتواضع: هل سبق لنا أننا تجاورنا يوماً من الأيام فحدث بيننا سوء تفاهم؟

المتكبّر: لا.

المتواضع: هل صارت بيننا مصاهرة يوماً من الأيام؟

المتكبّر: لا.

المتواضع: هل حدث بيننا موقفٌ أغضبنا على بعض؟

المتكبّر: لا.

المتواضع: إذاً أنت لا تعرف عنّي شيئاً أبداً، وربما لم ترني إلا هذه المرة فقط؟

المتكبّر: نعم.

المتواضع: إذا كان كل الأسئلة التي سألتكها أجبت عنها: بلا، إلا واحداً، فلماذا أنا أُلْقي عليك السلام؟

المتكبّر: لا أدري.

المتواضع: ولماذا لم تردّ عليَّ السلام حين ألقيته عليك؟ أوتبدؤني أنت بالسلام؟

المتكبر: لأني لا أبدأ أحداً بالسلام إلا إذا كنت أعرفه فقط، وكذلك لا أردّ على أحدٍ السلام إلا إذا كنت أعرفه، هكذا خُلُقي، وقد أخبرتك من قبل أني لا أمشي مثلكم على الأرض.

المتواضع: فأين تمشي هداك الله؟

المتكبّر: أنا أمشي على رؤوس الجبال، ورأسي يخترق السحاب، لذا لا أرى أحداً من الناس يمشي معي في هذه الأماكن سِوى نفسي.

المتواضع: وهل تعرف أيها المتكبّر ما أعدّهُ الله تعالى للمتكبرين أمثالك؟

المتكبّر: أعرف كل شيء.

المتواضع: ولكن لعلّك لا تعرف ما جاء عن الله جل جلاله، وعن رسوله ﷺ في ذَمِّ الكِبْر والمتكبرين، قال الله تعالى: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾ [النحل] وقال عزّ وجلّ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ٢٣﴾ [النحل] وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يُحْشر المتكبرون يوم القيامة، أمثال الذَّرِّ في صورة الرجال، يغشاهم الذُّلُّ من كل مكان، فيساقون إلى سِجْنٍ في جهنم – يُسَمَّى بُولَسَ – تعلوهم نار الأنيار، يُسْقَوْنَ من عصارة أهل النار، طِينة الخَبَال»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «بينما رجل يمشي في حُلَّةٍ تعجبه نفسه، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، خسف الله به، فهو يَتَجلْجَلُ إلى يوم القيامة»[٢]. وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزّ وجلّ: الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»[٣].

---

(١) الترمذي (٢٤٩٢) وحسَّنه الشيخ الألباني.

(٢) البخاري (٥٧٨٩) واللفظ له ومسلم (٥٤٣٤ – ٥٠).

(٣) أبو داود (٤٠٩٠) وصحّحه الشيخ الألباني.

إعلان عن محاضرة

اسم المحاضر: ميّت ابن ميّت ابن ميّتين

مكان المحاضرة: فم القبر مباشرة

وقت المحاضرة: لمحة بصر

المشاركون:

أناسٌ من تحت الأرض

وأناسٌ من فوق الأرض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله الذي له البقاء المطلق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: إخواني معاشر الأحياء:

اسمحوا لي أن أكلّمكم من هذا المكان المخيف، وكنت أتمنى أن أخرج إليكم لأصافحكم وأراكم ولكن لا أستطيع لأنه قد حيل بيننا وبين الرجوع إليكم بل والرجوع إلى الدنيا مرة ثانية.

إخواني معشر الأحياء:

إني أكلمكم وأُسمعكم صوتي، لتأخذوا عِبْرة، وتفيضوا من أعينكم عَبْرة، وتحمدوا ربكم أنكم ما زلتم في المهلة لتتداركوا ما فات، وتُصْلِحوا ما هو آت، وتراجعوا حساباتكم، وتزيدوا في حسناتكم، وتتوبوا إلى بارئكم من سيئاتكم، أمّا نحن معشر الأموات فقد خُتِمَ على كتابنا، فلا نستطيع زيادة في الحسنات، ولا نقصاً من السيئات.

إخواني معشر الأحياء:

إني كنتُ يوماً من الأيام مثلكم، وآكل وأشرب، وأنام وأستيقظ، وأفرح وأحزن، وكنت مع أهلي وأولادي، وكنتُ أبيع وأشتري، وكنتُ معكم فوق الأرض، ففجأةً، وإذا أنا في بيت منفرد لم أعرفه من قبل تحت الأرض، لم

أشيّده، ولم أساهم في شرائه ولا في بنائه، فسألتُ عنه، فقيل لي: هذا أول منازلك للانتقال إلى اليوم الآخر، فامْكُثْ فيه حتى ترحل إلى البيت الدائم.

إخواني معاشر الأحياء:

إنكم تعلمون أن للإنسان بيوتاً ثلاثة:

فأمّا البيت الأول: فهو البيت الذي أنتم فيه الآن، والذي كنا نحن فيه من قبل مثلكم، وهذا البيت قد ساهم كل إنسان أراد أن يسكن فيه، ساهم في بنائه، وفي اختياره، كما أنه هو – أي هذا الإنسان – قد شارك واختار أثاثه على ما يوافق مزاجه وطبعه، واختار فيه ما يريحه، ولم يختر ما ينغصه، أو يتعبه، أي أنه ليس فيه ما يكرهه، أو ما لا يريده، أو لا يحبّه، فهو يدخل فيه في راحةٍ واستجمام، ويخرج منه مرتاح، إذ لا منغِّص فيه.

أمّا البيت الثاني للإنسان: فهو ما أنا فيه وبقيّة الأموات، والذي ستكونون فيه أنتم لا محالة، وهو بيتٌ لم يشارك أي إنسان في اختياره، ولكن كل إنسان يدخله ويسكنه قد اختار من قبل أثاثه ومتاعه وموجوداته، وذلك بما عمل في دنياه من أعمال، إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شرًّا فشرًّا.

وأمّا البيت الثالث والأخير لكل إنسان: فهو إما أن يكون بيتاً في الجنة، وإما أن يكون بيتاً في النار نعوذ بالله منها، وهو عبارة عن امتداد للبيت الثاني، ويتحدّد عن طريق ما قدّمه الإنسان من أعمال وهو في البيت الأول.

إخواني معاشر الأحياء: إن هذه البيوت الثلاثة ليست خياليّة، وإنما هي بيوت واقعية، وماثلة أمامنا نحن معاشر الأموات، وأمامكم يا إخواني يا معشر الأحياء:

فالبيت الأول: قد سكنّاه نحن من قبل، عندما كنّا في الدنيا، ولم تَدُمْ لنا فيه السُّكْنَى، ولم نتهنَّى بما اخترناه فيه من أثاث ومتاع، ولم يَطُل فيه المقام، وإنما كان مشوباً بالكدر، حتى انتقلنا منه قسراً، وأنتم يا معشر الأحياء تعيشون فيه الآن، وسوف تنتقلون منه قسراً كذلك، من غير اختيار، كما فُعِلَ بنا من قبل، أليس كذلك؟

وأمّا البيت الثاني: فهو البيت الذي نحن فيه معاشر الأموات الآن، وهو حقيقة، وليس ضرباً من الخيال، ها هو أمامكم فلم نجد فيه واللهِ إلا ما قدمنا لأنفسنا، وأرسلناه إليه ونحن أحياء، فجميع الأثاث والمتاع الذي أرسلناه له قد وصل إليه، لم ينقص منه واللهِ شيئاً، ولم يُفْقَدُ منه شيء، فوجدنا متاعنا وأثاثنا كاملاً غير منقوص، ولكن رحمة الله تعالى أوسع، فهل تفطَّنتم وانتبهتم؟ وعمّا قليل ستنتقلون أنتم إليه، كما انتقلنا إليه، وسوف تجدون متاعكم وأثاثكم الذي أرسلتموه إليه وأنتم أحياء تامًّا غير منقوص، وهو في انتظاركم لتناموا عليه، وتأكلوا منه، وتشربوا منه، ولن يسلبه أحدٌ من بيتكم هذا، ولن يُعْطَى لغيركم،



وإنما سيكون محصوراً لكم، كُلٌ يجد في بيته هذا ما يخصُّه وما اجتهد فيه وأرسله إليه.

وأمّا البيت الثالث: فهو في انتظارنا جميعاً، وسنوافي إليه يوم القيامة، وهو البيت الأخير لكل إنسان، إذ لا بيت بعده، وهو بيتٌ مَنْ سَكَنَهُ فإنه لن ينتقل منه أبداً، ولن يُبَدّله بغيره أبداً، وسيجد فيه كل إنسان ما قدّمه له وهو في الدار التي أنتم فيها الآن يا إخواني، فهذا البيت لا نعرف شيئاً إلا اسمه فقط، أمَّا الشكل والحجم والكمّ فهذا عِلْمه عند الله تعالى. فالله الله يا إخواني ما دمتم في المهْلة، وفي هذه الدار، وخذوا منّا عِبْرة، فإننا أصبحنا لا نستطيع أن نركع ولو ركعة واحدة، ولا نستطيع أن نسبّح ولا تسبيحة واحدة، فقد خُتِمَ على كتابنا، فالله الله يا إخواني اجتهدوا فإن الفرصة لا تزال متاحة لكم، وبإمكانكم زيادة حسناتكم، والتوبة من سيئاتكم، فإنا والله قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا.

معاشر الإخوان الأحياء: إن هذا البيت الثالث والأخير، إمّا أن يكون في الجنة، وهو للمسلمين، وإمّا أن يكون بيتاً في النار وهو للكفار والمنافقين، لأن مَنْ مات على الإسلام والإيمان بالله تعالى، فإن مقرّه إن شاء الله الجنة، وسيكون بيته الثالث فيها، فإن كان عليه ذنوب – وكلّنا مذنبون – فهو تحت مشيئة الله تبارك وتعالى، إن شاء غفر له ورحمه، وهذا هو الظنّ به سبحانه وتعالى، فهو يحبّ العفو، سبقت رحمته غضبه، وهذا من فضله وَجُوده، وإن عذَّبَ عبده

المؤمن على قدر ذنوبه فبعدله، ولا يظلم الله عزّ وجلّ أحداً، ثم يكون مقرّ المسلم الأخير، هو البيت الذي في الجنة، وأمَّا مَنْ مات وهو كافر بالله تعالى، جاحداً لألوهيته، ووحدانيته، فإن بيته الثالث والأخير يكون في نار جهنم أعاذنا الله وإياكم منها.

معاشر إخواننا الأحياء: قد شارف وقت المحاضرة على الانتهاء وأرى قبري يشير إليَّ بانتهاء المحاضرة، وبانتهاء الوقت المسموح به، ولكنني في هذه العجالة أوصيكم بتقوى الله تعالى، وعدم التسويف للتوبة، واعلموا علم اليقين يا إخواني الأحياء أنّ ما نحن فيه الآن ستكونون فيه يوماً من الأيام لا محالة ولا مهرب من ذلك، كما أوصيكم بعدم الغفلة، ولا تضيّعوا أوقاتكم فيما لا ينفعكم، ولا يعود عليكم بخير، واستعدُّوا للرحيل، فلا أحد يدري متى ينادي به الحادي. والآن إن كان فيه وقت فسيكون للأسئلة وأنا سأبدأ بالأسئلة أولاً نيابة عن إخواني الأموات من أهل القبور هذه التي أمامكم، ثم ستكون الأسئلة بعد ذلك منكم إن شاء الله تعالى.

س: إني عندما مُتُّ وانتقلت من فوق الأرض إلى تحتها تركتُ زوجة وأولاداً، فما أخبارهم بعدي بارك الله فيكم؟ أخبروني عنهم؟



ج: أمّا الزوجة فإنها قد تزوّجت من بعدك برجلٍ آخر، وهي تعيش معه في سرورٍ وأُنْسٍ، وذهابٍ وإيابٍ، ولا ينقصها شيء، وأمّا الأولاد فقد كبروا وتزوجوا، واستقلّوا عن أمّهم، فكل واحدٍ منهم لديه بيت وزوجة وأولاد.

س: هل يسألون عنّي أو يذكرونني؟

ج: أحياناً، ولكنهم مشغولون في دنياهم؟

س: عندما اخْتُطِفْتُ مِن بين يديّ زوجتي وأولادي فإني تركت رصيداً من المال في البنك، فماذا فعلوا به؟

ج: المال اقتسمه الورثة ولم يَعُدْ لك.

س: هل تصدّقوا عنّي بشيءٍ؟

ج: لم يتصدقوا عنك بشيءٍ يذكر، لأنه أصبح لهم وليس لك، وأنت لم تتصدق منه بشيءٍ عندما كان لك ومُلْكك.

والآن دوركم يا إخواني معاشر الأحياء فاسألوا:

س: صف لنا بيتك هذا الذي تعيش فيه وهو القبر؟

ج: لا أستطيع أن أصفه مهما قلت وتكلّمت عنه، ولكنني أذكّركم بقول النبي ﷺ: «ما رأيتُ منظراً قط إلا والقبر أفظع منه»[1].

س: هل تستطيع أن تخرج من هذا البيت؟

(١) ابن ماجه (٤٣٤٣) وحسَّنه الشيخ الألباني.



ج: قد حيل بيني وبين ذلك.

س: ما أخبار جيرانك؟

ج: كُلٌّ مشغولٌ بنفسه وأمره.

س: ماذا تريد؟

ج: أريد أن أرجع إلى زوجتي وأولادي وأهلي في الدنيا، وأن أركع لو ركعة واحدة أو أسبح تسبيحة واحدة، ولكن هيهات ذلك.

س: ماذا تتمنَّى؟

ج: أتمنى أن أرجع إلى الدنيا لكي أزيد في حسناتي، وأتمنَّى أيضاً أن أتوب وأنقص من سيئاتي.

س: ما هي آخر كلمة توجهنا إليها؟

ج: قول الشاعر:

ألا يـــا عســـكر الأحيـــا ... ءِ هـــذا عســـكر المـــوتى

أجـــابوا الـــدعوة الصـــغرى ... وهـــم منتظـــرو الكـــبرى

يحثُّـــون عـــلى الـــزاد ... ومـــا زاد ســـوى التقـــوى

يقولـــون لكـــم جِـــدُّوا ... فهـــذا آخـــر الـــدنيا[1]

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبي حاتم البستي (٢٨٠).

وقول الشاعر:

أخي ما بال قلبك ليس ينقى	كأنك لا تظن الموت حقّا
ألا يا ابن الذين فنوا وبادوا	أما والله ما ذهبوا لتبقى
وما أحدٌ بزادك منك أحظى	وما أحدٌ بزادك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زادٌ	إذا جعلتْ إلى اللهوات ترقى[1]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فَرَدَّ عليه إخوانه الأحياء بقولهم:

السلامُ عليكم دار قومٍ مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية يرحم الله المستقدمين مِنَّا والمستأخرين.

*****

(١) ديوان أبي نواس (تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي).

الخاتمة

مـــا حـــوى العِلْـــمَ مـــن أحـــدٍ إنســـــــانٌ كـــــذا جـــــانْ

صـــاحِ خُـــذْ مـــا طـــابَ وَدَع مـــــا لم يَحْـــــوِهِ شـــــانْ

لـــيس وَحْيـــاً ولكـــن يُـــرى أنـــــه جهـــــدُ إنســـــانْ[1]

(١) المؤلف.

المراجع والمصادر العلمية

ليس هناك مراجع ولا مصادر علمية لهذا الكتاب، وإنما هي من فتح الله تعالى علينا وتوفيقه لنا، وقد ذكرت بعض المراجع والمصادر في حواشي هذا الكتاب وعزوتها لمؤلفيها.

الفهرس

الموضـــــــوع	الصفحة

أي حكمة في هذا الكتاب أو خاطرة

أو شعر أو قصص أو روايات أو غير ذلك

لم يُعْزَ لأحدٍ فهو للمؤلف